# بسط سامع المسامر

## فى أخبار مجنون بنى عامر

وبآخره

أخبار ليلى الأخيلية وتوبة ، وأخبار قيس بن ذريح ولبنى


تأليف

الشيخ الأوحد المفنن الأخبارى أبى عبد الله شمس الدين

محمد بن على بن طولون الدمشقى الصالحى


---


شرح وتحقيق

عبد المتعال الصعيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر


---

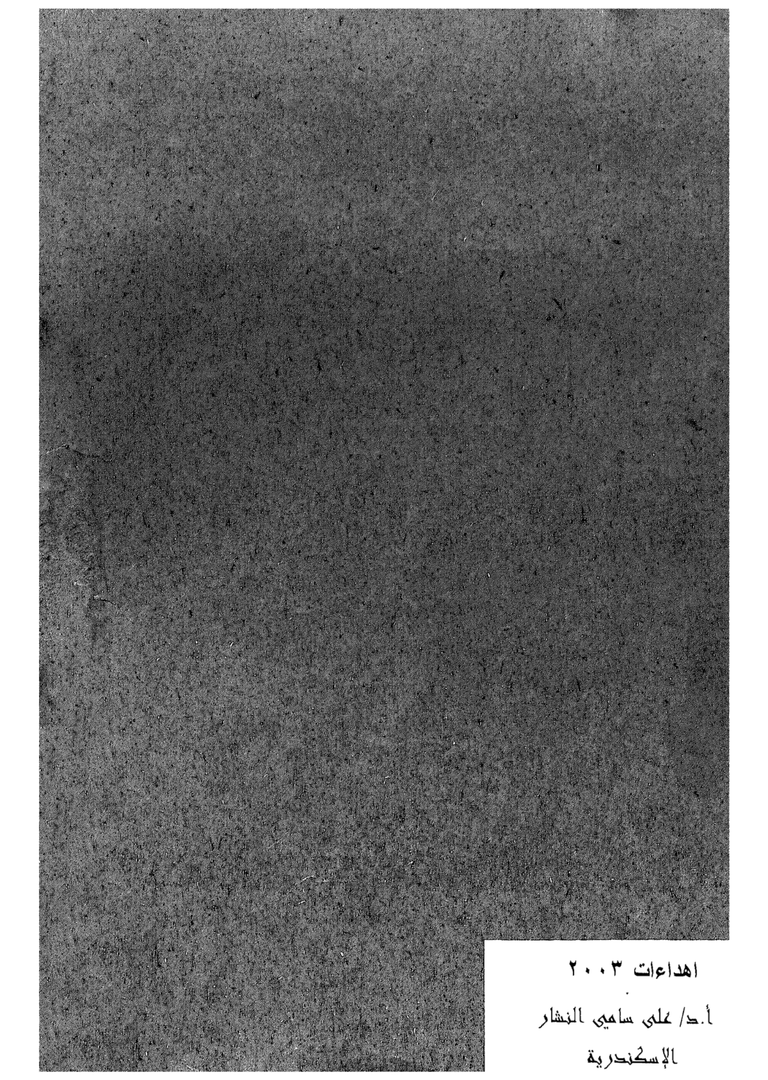



يطلب من الناشر

مكتبة القاهرة

بالصنادقية بالأزهر

لصاحبها على يوسف سليمان



# بسط سامع المسامر
## في أخبار مجنون بني عامر

وبآخره

أخبار ليلى الأخيلية وتوبة ، وأخبار قيس بن ذريح ولبنى

تأليف

الشيخ الأوحد المفنن الأخبارى أبى عبد الله شمس الدين

محمد بن على بن طولون الدمشقى الصالحى

---

شرح وتحقيق

عبد المتعال الصعيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

---



الناشر

مكتبة القاهرة

لصاحبها : على يوسف سليمان

شارع الصنادقية . بميدان الأزهر بمصر

شركة الطباعة الفنية المتحدة
١٥ ، ١٦ شارع المستعلى بالله ـ الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة عن الكتاب ومؤلفه

إذا ذكر كتاب بسط سامع المسامر فى أخبار مجنون بنى عامر ، وجب أن يذكر أصله نزهة المسامر فى ذكر بعض أخبار مجنون بنى عامر ، وإذا ذكر أبو عبد الله شمس الدين محمد بن على بن طولون الدمشقى الصالحى الحنفى صاحب الكتاب الأول ، وجب أن يذكر صاحب الكتاب الثانى ، وهو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبد الهادى الصالحى الحنبلى المشهور بابن عبد الهادى ، وبابن المبرد أيضا ، وهو بكسر الميم وسكون الباء وفتح الراء .

فتشابه اسمى الكتابين إلى ذلك الحد يبين لنا مدى اعتماد ابن طولون فى كتابه على كتاب شيخه ابن عبد الهادى ، ولا عجب فإن صاحب كتاب بسط سامع المسامر كان يلقب سيوطىّ الشام ، نسبة إلى جلال الدين السيوطى المصرى ، وكان شيخا لابن طولون أيضا بالإجازة كما سيأتى فى ترجمته ، فكان يقوم فى الشام بما يقوم به شيخه السيوطى فى مصر ، من الإغارة على كتب غيره بالجمع والاختصار والترتيب ، وهذا إذا كان يؤخذ عليهما فإنه يؤخذ لهما أيضا ، لأن كثيرا من الكتب التى أغارا عليها بذلك قد فقدت ولم يبق إلا كتبهما المأخوذة منها ، والظاهر أن كتاب : نزهة المسامر ـ لابن عبد الهادى مفقود أيضا ، ولكنه فى حكم الموجود بكتاب تلميذه بسط سامع المسامر .

ومن ينظر فى الترجمتين الآتيتين لابن طولون وشيخه ابن عبد الهادى يدرك أنهما كانا فقيهين محدّثين أكثر منهما أديبين ، وهذه كانت الصبغة العلمية الغالبة على المشتغلين بالعلم فى القرون المتوسطة إلى عصر النهضة

الحديثة ، وكان لاشتغال ابن طولون بالحديث وروايته أثره فى عنايته بالإسناد فيما يرويه من أخبار مجنون بنى عامر وأشعاره . فقد عُنِىَ فيما صح عنده منها بروايته عن الثقات الذين ينتهى سندهم إلى من اجتمعوا بمجنون بنى عامر ورووا عنه ، وقد بقى كتابه ـ بسط سامع المسامر ـ بخطه لم يتناوله النسّاخ من العوام وأشباه العوام بالتحريف والتشويه وعدم التفرقة بين الصحيح وغير الصحيح من أخبار مجنون بنى عامر ، وهذه ميزة لها قيمتها ، وقد نوّهنا بها فى طبعتنا الأولى لديوان المجنون برواية الوالبى ، وذكرنا أن هذا الديوان قد زاد فيه أولئك النساخ كثيرا من الأساطير المنحولة ، مما شوّه أخبار مجنون بنى عامر وجعله أشبه بأسطورة ، وقد ذكر بعضه فى بسط سامع المسامر ، ولكن مع بيان ضعفه .

وقد تناول ابن طولون دراسته لمجنون بنى عامر بما هيّأته له صبغة الفقيه المحدّث ، وبما هيأه له حال عصره من غلبة هذه الصبغة على الصبغة الأدبية ، فلم يكن له فيه جولات أدبية كجولات علماء الأدب فى عصوره الزاهرة الأولى ، وإنما هى جولات قليلة وضعيفة إلى حد ما ؛ ولكنها على كل حال خير مما فعله العوام وأشباه العوام بأخبار مجنون بنى عامر وأشعاره ، وفيها من حسن الترتيب والتبويب ما لا يوجد فيما تداوله الناس من تلك الأخبار والأشعار .

وكان السيد الحاج على يوسف سليمان قد استجاب لدعوتى له إلى نشر هذا الكتاب ، وكلف بعض النساخ بنقله من دار الكتب المصرية ، فلم ينقل منه إلا صفحات قليلة فى عامين أو أكثر ، وله عذره فى ذلك ، لأن خط ابن طولون ردىء إلى حد كبير ، ومع هذا كان همه مصروفا إلى نقل أكثر ما يمكنه من الكتب ، فشغله هذا عن إعادة النظر فيما ينقله منها ، ليصحح ما يفوته من النقل ، وما يقع فيه من الخطأ ، ويعلم الله كم عانيت

فى تصحيح ما فاته من ذلك ، وإن كنت لم أشر إلى أكثره لظهوره ، وهو عندى لا يصح أن يحسب عليه ، ولا يصح أن يطول الكتاب به ، كما يفعل بعض المشتغلين بتحقيق الكتب القديمة ، لأن مثل هذا ليس مما يهم عندى ، وإنما أتناوله على هامش ما أُعْنَىَ به فى ميدان التأليف ، والله حسبى ونعم الوكيل ؟

## ترجمه ابن طولون الدمشقى (١)

هو محمد بن على بن محمد الشيخ الإمام العلامة المسند المفنّن الفهامة شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن طولون الدمشقى الصالحى الحنفى المحدّث النحوى . مولده بصالحية دمشق فى ربيع الأول سنة ثمانين وثمانمائة تقريبا، وسمع وقرأ على جماعة منهم القاضى ناصر الدين أبو البقاء ابن زُرَيق ، والخطيب سراج الدين الصيرفى ، والجمال يوسف بن عبد الهادى عرف بابن المِبْرَد ، والشيخ أبو الفتح السكندرى المزى ، وابن النعيمى ، وآخرين ، وتفقه بعمه الجمال ابن طولون وغيره ، وأخذ عن السيوطى إجازة مكاتبة ، فى جماعة من المصريين ، وآخرين من أهل الحجاز .

وكان ماهرا فى النحو ، علامة فى الفقه ، مشهورا بالحديث ، وولى تدريس الحنفية بمدرسة شيخ الإسلام أبى عمـــر ، وإمامة السُّلَيمية بالصالحية ، وقصده الطلبة فى النحو ، ورغب الناس فى السماع منه ، وكانت أوقاته معمرة بالتدريس والإفادة والتأليف ، كتب بخطه كثيرا من الكتب وعلق ستين جزءا وسماها بالتعليقات ، كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ، ومنها كثير من تأليفات شيخه السيوطى . وكانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة ، وله مشاركة فى سائر العلوم حتى فى التعبير والطب .

وحدثنى الشيخ المسلّك أحمد بن الشيخ العارف بالله تعالى سليمان الشلاح الصوفى ، قال : كنت عند والدى فدخل عليه الشيخ شمس الدين ابن طولون زائرا ، فلما جلس تقدم رجل من الفقراء فقص على الوالد أنه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه أسود اللون ، فقال الشيخ سليمان : هذا مولانا الشيخ شمس الدين يعبر لك هذه الرؤيا . فقال الشيخ شمس الدين : هذه الرؤيا تدل على أن الرائى مبتدع مخالف لسنة النبى صلى الله

---

(١) منقولة من الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزى .

عليه وسلم ، لأن السواد غير صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، والرؤيا تدل على حال الرائى ، فالظاهر أنه على غير السنة . فاستعاذ الرجل من ذلك وقال: ليس فى عقيدتى شيء من ذلك ، فقال الشيخ : لابد لك أنك مخالف للسنة فى شيء . فلابد أن تتوب منه . فقال : ما أعرف من نفسى شيئا من ذلك إلا أنى ربما تشاغلت عن الصلاة . فقال . هو ذلك ، فإن الصلاة عمود الدين ، وأىُّ مخالفة أعظم من ترك الصلاة ؟ فاستعبر الرجل وأخذ عليه الشيخ العهد على التوبة .

وقد أخذ عن الشيخ شمس الدين بن طولون جماعة من الأعيان ، وبرعوا فى حال حياته ، كالشيخ شهاب الدين الطيبى شيخ الوعاظ والمحدّثين ، والشيخ علاء الدين بن عماد الدين ، والشيخ نجم الدين البهنسى خطيب دمشق ، وممن أخذ عنه آخرا شيخ الإسلام الشيخ إسماعيل النابلسى مفتى الشافعية ، وشيخنا الشيخ العلامة زين الدين بن سلطان مفتى الحنفية ، وشيخ الإسلام شمس الدين العيثاوى مفتى الشافعية الآن فسح الله تعالى فى مدته ، وشيخ الإسلام شهاب الدين الوفائى مفتى الحنابلة الآن نفع الله تعالى به ، وقريبه أكمل بن مفلح وغيرهم .

وكان الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى ربما نظم الشعر ، وليس شعره بذاك على قلته ، ومن جيده قوله ملمحا بالحديث المسلسل بالأوليّة :

ارحـــم محبّك يارشا    تُرْحَمْ من الله العلى
فحديث دمعى من جفا    ك مسلســـل بالأولى

ورأيت بخط بعض الفضلاء أن من شعره رحمه الله تعالى :

ميلوا عن الدنيا ولذاتها    فإنهـا ليست بمحمـــوده
واتبعوا الحق كما ينبغى    فإنما الأنفـاس معدوده
فأطيب المأكول من نحلة    وأفخر الملبوس من دوده

توفى رحمه الله تعالى يوم الأحد حادى عشر أو ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، ودفن بتربتهم عند عمه القاضى جمال الدين بالسفح قبلى الكهف والخوارزمية ، ولم يعقب أحدا ، ولم يكن له زوجة حين مات .

## ترجمه ابن عبد الهادى [1]

هو جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى الشهير بابن المـِبْرَد الصالحى الحنبلى، ولد سنة أربعين وثمانمائة ، وقرأ على الشيخ أحمد المصرى الحنبلى ، والشيخ محمد والشيخ عمر العسكريين ، وصلى بالقرآن ثلاث مرات ، وقرأ المقنع على الشيخ تقى الدين الجراعى ، والشيخ تقى الدين بن قندس ، والقاضى علاء الدين المرداوى وحضر دروس خلائق ، منهم القاضى برهان الدين بن مفلح ، والبرهان الزرعى ، وأخذ الحديث عن خلائق من أصحاب ابن حجر وابن العراقى وابن البالسى والجمال بن الحرستانى والصلاح ابن أبى عمر وابن ناصر الدين وغيرهم ، وكان إماما علامة، يغلب عليه علم الحديث والفقه ، ويشارك فى النحـو والتصريف والتصوف والتفسير ، وله مؤلفات كثيرة ، وغالبها أجزاء ، ودرس وأفتى ، وألف تلميذه شمس الدين بن طولون فى ترجمته مؤلفا ضخما . توفى يوم الاثنين سادس عشر المحرم سنة تسع وتسعمائة ودفن بسفح قيسون .

---

(١) منقولة من شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قرب إلى جنابه من أحب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والصحب — وبعد — فهذا تعليق سميته بـ « بسط سامع المسامر فى أخبار مجنون بنى عامر » الذى ضربت به الأمثال فى العشق من غير شك، واشتهر به اشتهار ( قفانبك . . . [1] )

قال عنه العارف الشيخ « محيي الدين بن العربى » أعاد الله علينا من بركاته ، ونفعنا بصالح نفحاته ، فى كتابه « الفتوحات المكية » : هو من نسب إليه حكم سلطان الحب ، وقد جاءت إليه محبوبته ليلى يوما وهو يقول — ليلى ليلى ؟ — ويلقى الثلج على صدره فيذيبه حرارة فؤاده ، فقالت له: يا قيس ، أنا ليلى .

فنظر إليها وقال لها : إليك عنى ، فإن حبك شغلنى عنك .

وهذا ألطف حال ظهر فى هذا الشأن من سلطان الحب ، لأن صورتها الظاهرة لما شاهدها حالت بينه وبين ما كان فى خياله منها ، فإن خيالها ألطف منها فى عينه ، فلما أحس بفقده ذلك اللطف لمشاهدتها قال لها : إليك عنى .

وفى ذلك قلت :

وعـزّةِ الحبّ إنّ الحبّ أشهـدنى
عَيْـنَ الحبيب الذى أهواه فى خَلَدِى[2]

بحيث لو ظهرت فى الحسن صـورتُـهُ
لعـين حُبّىَ لم أنقـص ولم أزدِ

فحالُ حضرته كحـال غيبته
وهذه صفةٌ لم تُـدْرِ فى أحدِ

بهـا خصصت فـلا شخصٌ ينازعنى
فيها وأهلُ الهوى عنها على حَيَـدِى[3]

---

(١) مطلع معلقة امرىء القيس :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخـول فحومل
(٢) الخلد البال والقلب (٣) حاد عن الطريق مال عنه وعدل .

لذاك أنكرها من ليس يعرفها
والكل أنكرها إذْ كانَ لم يجِدِ

والسر فى ذاك أن القوم ما عشقوا من عالم اللطف إلا عالم الجسد. اهـ.

وضعته تذكرة يتعظ بها المتعظ ، ويتيقظ منها اليَقِظ ، ويتبصر بها المحب ، ويصيب منها الوَصِب[1] ويستحليها الشاعر ، ويستلذها المكابر ، ويقتنى بها أصحاب اللغة رتبة سنية، ويحتج بها النحاة على العربية ، ويستشهد بها أرباب المعانى والآداب المهمَّات ، ويستغنى بها أهل الأصول والمشروعات. سائلا من الله حسن القبول ، ورتبته على فصول :

## ( فصـــل )

### اسمـــه ونسبه

قد اختلف العلماء فى اسمه ونسبه :

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن الصالحى سماعا عليه ببستانه بالسهم الأعلى بها . أنا الصلاح بن أبى عمر .

ح : وأباح لى عاليا أبو الحسن على بن محمد الصوفى عن الصلاح بن أبى عمر عموما ، أنا الفخر بن البخارى ، أنا أبو الفرج بن الجَوْزى فى كتابه، أنا محمد بن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، ثنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى .

ح : قال ابن الجوزى : وأنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا أبو القاسم على ابن المحسِّن التنوخى ، أنا أبو عمر بن حَيَّوَيْه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال ابن دأب عن رباح بن حبيب العامرى :

هو قيس بن الملوّح بن مزاحم .

وقال أبو عمرو الشيبانى : أخبرنى أبو بكر الوالبى عن بعض ولد على ابن أبى طالب ، قال :

---

(١) يقال ـ وصب فى ماله وعليه لزمه وأحسن القيام عليه .

هو قيس بن معاذ العُقَيلى .

وقال أبو العالية :

هو الأقرع بن معاذ .

وبه إلى ابن الجوزى ، ثنا محمد بن عبد الباقى ، أنا على بن المحسِّن ، ثنا أبو عمر بن حَيَوَيه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أحمد بن حرب ، أخبرنى ابن أبى كُرَيم ، ثنا قلابة العامرى عن القاسم بن سويد الحرمى قال:

كان فى بنى عامر ثلاثة مجانين : معاذ ليلى ، وهو معاذ بن كُلَيب أحد بنى عامر بن عبيد ، وقيس بن معاذ ، ومهدى بن الملوّح الجعدى .

قلت : الصواب أنه قيس بن الملوح . والله أعلم .

## ( فصـــل )

### نسب ليلى وكنيتها

وأما ليلى فاختلف فى نسبها وكنيتها :

أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمرى ، أنا أبو الوفاء إبراهيم بن محمد الحافظ ، عن أبى بكر بن المحب ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة الزاهدة أنا ابن ناقة ، أنا الزينبى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حَيَّوَيه ، أنا ابن المرزبان أنا محمد بن خلف ، أنا أبو العباس الأحول ، قال : قال لى على بن معمر ابن المثنّى :

إن ليلى مجنون بنى عامر التى كلف بها هى ليلى بنت مهدى بن سعد بن مهدى ابن ربيعة بن الحريش .

وقال بعضهم : ليلى بنت ورد من بنى ربيعة .

وفى كنيتها قولان :

أحدهما « أم مالك » وبذلك كنّاها المجنون فى شعره فى عدة قصائد ، وهو الصواب .

والثانى « أم الخليل » .

قلت : وفى بعض شعر المجنون « أم عمرو » على ما يأتى ، وهى من بنى عامر ، ولهذا يقال لها ليلى العامرية .

( فصــــل )

فى سياق بداية معرفة المجنون بليلى :

وقد اختلفوا فى ذلك ، ونحن نذكره .

أخبرنا أبو الحسن على بن البهاء البغدادى ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا أبو عمر بن قدامة ، أنا أبو الحسن السورى ، أنا أبو الفرج البكرى ، أبو الفضل بن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا أبو محمد الجوهرى ، أنا أبو عمر بن حَيُّوَيه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو محمد البلخى ، أخبرنى عبد العزيز بن صالح ، عن أبيه ، عن ابن دأب ، قال : حدثنى رجل من بنى عامر يقال له رباح بن حبيب ، قال :

كان فى بنى عامر جارية من أجمل النساء ، لها عقل وأدب ، يقال لها ليلى ، فبلغ المجنون خبرها وما هى عليه من الجمال والعقل ، وكان صَبًّا بمحادثة النساء ، فعمد إلى أحسن ثيابه فلبسها وتهيأ إليها . فلما جلس إليها وتحدث بين يديها أعجبته ووقعت بقلبه ، فظل يومه ذلك يحدثها حتى أمسى ، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة ، حتى إذا أصبح مضى إليها ، فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف فبات بأطول من ليلته الأولى ، واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول :

نهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا
لىَ الليل هزَّتنى إليكِ المضاجعُ[1]

أقضِّى نهارى بالحديث وبالمنى
ويجمعنى والهمَّ بالليل جامع

(١) سيأتى ترجيحه أنها هزتنى بالراء المهملة لا بالزاى المعجمة .

وأدام زيارتها وترك إتيان كل من كان يأتيه ، فوقع فى قلبها مثل الذى وقع فى قلبه .

فجاء يوما يحدثها فجعلت تعرض عنه وتقبل على غيره ، تريد أن تمتحنه وتعلم ما لها فى قلبه ، فلما رأى ذلك منها اشتد عليه وجزع ، فلما خافت عليه أقبلت إليه فقالت :

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً    وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

فسُرِّى عنه فقالت : إنما أردت أن أمتحنك ، والذى لك عندى أكثر من الذى لى عندك ، وأنا معطية الله عزّ وجلّ عهدا إن أنا جالست بعد يومى هذا رجلا سواك حتى أذوق الموت إلا إذا كُرِه علىّ ذلك .

فانصرف وهو أسرُّ الناس ، فأنشأ يقول :

أظنُّ هواها تاركى بمضلّةٍ    من الأرض لا مالٌ لدىّ ولا أهل
ولا أحدٌ أفْضِى إليه وَصِيَّتى    ولا وارثٌ إلا المطيةُ والرَّحلُ (١)
محا حبُّها حبَّ الألى كُنَّ قبلها    وحلَّتْ مكانا لم يكنْ حُلَّ من قبلُ

قال ابن الجوزى : قد ذكرنا فى هذه الحكاية قوله — هزتنى إليك المضاجع — وما روى لنا إلا بالزاى ، ولا سمعنا أحدا يذكره إلا كذلك ، ثم رأينا أبا الفتح بن جِنّى قد ذكره بالراء فقال - هرتنى إليك المضاجع - قال : والزاى تصحيف عندهم . قال : ويقال — هَرَّ الشىء يَهِرُّه ويُهِره إذا كرهه — فمعنى هرتنى كَرِهَتْنى فَنَبَتْ بى . وقوله — والهم — منصوب على أنه مفعول معه . وقوله — بمضلة — المضلة يعنى بفتح الميم المكان الذى يضل الإنسان فيه الطريق . وقوله — محا حبها — من المحو

(١) فى رواية ولا صاحب بدل وارث .

وهو الإزالة ، وحبها مرفوع على أنه فاعل ، وحب الثانى منصوب على أنه مفعول ، والآلى جمع أولى[1] وقوله — من قبل — مبنى على الضم لا يتغير بالعامل ، لأنه لو تغير لكان مجرورا ، قال الله عزّ وجلّ ( لِلهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ) .

وفى بداية معرفتهما قول آخر :

وبهذا النقل إلى أبى الفرج البكرى ، أنا محمد بن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا أبو محمد الجوهرى ، قال أبو الفرج : وثنا محمد بن عبد الباقى ؛ أنا على بن المحسِّن ، قال : أنا أبو عمر بن حَيُّوَيه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال العمرى عن لقيط بن بكير المحاربى :

إن المجنون علق ليلى علاقة الصبى ، وذلك أنهما كانا صغيرين يرعيان أغناما لقومهما ، فعلق كل واحد منهما صاحبه ، إلا أن المجنون كان أكبر منها ، فلم يزالا على ذلك حتى كبرا ، فلما علموا أمرهما حجبت ليلى عنه . وفى ذلك يقول :

تعلّقتُ ليلى وهىَ ذاتُ ذؤابة
ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجم[2]
صغيرين نرعى البَهْمّ ياليت أنّنا
إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهمُ

وقوله — تعلقت — بالتشديد . والذؤابة بالهمز ذؤابة الشعر . والأتراب عظام الصدر التى عليها الثدى[3] والبهم بفتح الباء صغار المعزى الواحدة بهمة . وأما البهْم فالسود . وأما قوله عليه السلام فى أشراط

(١) الصواب اسم موصول

(٢) فى رواية : وهى غر صغيرة .

(٣) عظام الصدر هى الترائب . وإنما الأتراب اللاتى ولدن معا .

الساعة « رعاة يتطاولون فى البنيان » فروى بالوجهين[1] وقد وقع فى البهم نكتة . وهى ما أخرجه الأرْدستانى. أنا أبو عبد الرحمن السُّلمى . ثنا أحمد ابن سعيد ، ثنا محمد بن سعيد . ثنا عيَّاش الترقُفى . ثنا عبد الله بن عمرو ثنا الحسن بن على . ثنا أبو غياث البصرى . عن ابراهيم بن محمد الشافعى . قال : بينما ابن أبى مُلَيكة يؤذن إذا سمع الأخضر الحُدّى يتغنى فى دار الفاسق ابن وائل ويقول ـ صغيرين نرعى البهم ياليت أننا ، إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم ـ قال : فأسرع الأذان وأراد أن يقول ـ حى على الصلاة ـ فقال : حى على البهم . حتى سمعه أهل مكة ، فجاء يعتذر إليهم .

وفى بداية معرفتهما قول ثالث :

وبهذا النقل إلى أبى الفرج البكرى . أنا أبو الفضل بن ناصر . أنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا أبو القاسم التنوخى . أنا أبو عمر بن حَيّوَيْه. أنا محمد بن خلف . ثنا عبد الله بن عمرو . حدثنى يحي بن أبى جابر. حدثنى ربيعة بن عبد الحميد . قال :

كان المجنون من ولد أبى بكر بن كلاب ،فأتى عليه عصر من الدهر لا يعرف ليلى ، ثم عشقها فخطبها فلم يزوجوه ، واشتد حاله وزاد ما كان يجده ، وفشا أمره فى الناس ، فلقيه ابن عم له فقال : يا أخى . اتّق الله فى نفسك ، فإن هذا الذى أنت فيه من عمل الشيطان ، فازجره عنك . فأنشأ يقول :

يا حبّذا عملُ الشيطان من عمل

إنْ كانَ من عمل الشيطان حُبّيها

---

(١) جاء فى اللسان : وفى حديث الإيمان والقدر « وترى الحفاة العراة رعاء الإبل والبهم يتطاولون فى البنيان » أراد الأعراب ، يعنى أن البلاد تفتح فيسكنونها ويتطاولون فى البنيان ،وفى رواية « رعاة الإبل البهم » بضم الباء والهاء على نعت الرعاة وهم السود جمع البهيم

مَنَّيْتُهَا النفسَ حتى قد أضرَّ بها
وأحدثت خَلفاً مما أُمنيها[١]

وههنا نكتة — وهى أنه عشق ليلى هذه غير المجنون أيضاً :

وذلك فيما أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مفلح من لفظه . أنا أبى . أنا أبوبكر بن المحب . أنا أبو محمد المطعم . أخبرتنا كريمة أنا ابن ناقة . أنا الزينبى . أنا أبو القاسم التنوخى . أنا ابن حَيَّوَيْه . أنا ابن المرزبان . قال : محمد بن زياد الأعرابى :

كان معاذبن كُلَيب مجنونا ، وكان يحب ليلى ، وشاركه فى حبها مزاحم ابن الحارث العُقيلى . فقال مزاحم :

كِلانا يا معاذُ يحبُّ ليلى
بفيك وفىَّ من ليلى الترابَ
لقد خَبَلتَ فؤادىَ ثم سارتْ
بقلبىَ فَهْوَ مهموم مصابْ[٢]
شركتكَ فى هوى من ليس تُبدِى
لنا إلا القطيعةَ والعذابْ

وقال معاذ بن كليب :

شفى الله من ليلى فأصبح حبُّها
بلا جَهْل ليلى زايلتْنى حبائلُهْ
سوى أنَّ ذرْفاتٍ تثيرُ فؤادَهُ
إذا ذُكرَتْ ليلى وداءً يطاولُهْ[٣]

---

(١) خلفا عوضا وبدلا
(٢) طبت : سحرت
(٣) ذرفات : جمع ذرفة من ذوف الدمع سال

وبه إلى ابن المرزباني ، أنا محمد بن خلف ، أخبرني عبد الله بن عمرو ، حدثني عبد العزيز ابن صالح عن أبيه ، عن ابن دأب ، حدثني رجل من بني عامر ، قال :

خرج المجنون ، وهو قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن قيس بن عنبسة ، على ناقة له كريمة ، عليه حُلَّة وطيلسان ، فبينما هو يسير إذ مرَّ بامرأة من بني عقيل يقال لها كريمة ، ومعها نسوة يتحدثن ، وكانت امرأة جميلة ، فلما رأته عرفته وقالت للنسوة : هذا قيس . فدعونه إلى النزول والحديث معهن ، فنزل وعقر لهن ناقته ، وظلَّ عندهن يحدثهن ويحدثنه وينشدهن ، وهن أعجب شيء به ، فلما أمسى إذا فتى قد أقبل عليه بردة من برود الأعراب ، يسوق معزى له ، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن قيسا ، وكان اسم الفتى منازلا ، فجعلن يقلن : كيف ضللت يا منازل اليوم ؟ ويقلن: حدثنا يا منازل . وكانت فيهن ليلى ، فلما رأى المجنون تركهن له وإقبالهن على منازل خرج من عندهن مغضبا ، وأنشأ يقول :

أأعقرُ من أجل الكريمة ناقتي
ووصْلِيَ مقرونٌ بوصل منازلِ[1]

إذا جاء قَعقعْنَ الحليَّ ولم أكن
إذا جئت أرجو صوت تلك الخلاخل[2]

إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلتُهُ
وإن يرم رشقا عندهم فَهْوَ ناضلي[3]

وقد ذكر بعضهم أن قيسا خرج قبل عشقه ليلى ، فمر بامرأة من بني

(١) في رواية : من جرا بدل من أجل ، ومفروش بدل مقرون .
(٢) في رواية : إذا جئت أرضى .
(٣) في رواية إذا ما انتضلنا بالسهام أي ترامينا ، ونضلته غلبته في النضال ، وفي رواية : عندها . والرمي رشقا المنابذة بالكلام .

عقيل ، وكانت امرأة عاقلة ، وكان بنات الحى يجلسن عندها ، ويتحدثن وينشدن الأشعار ، فلما رأت قيسا دعته إلى النزول عندها ، فنزل قيس عندهن ، وتحدث معهن وأنشدهن، وقد عجبن من فصاحته ، وإذا ليلى ابنة مالك قد أقبلت ، فلما رآها قيس فُتِنَ بها ، فلما رأته تلك المرأة كذلك قالت : ما بالُكَ يا قيس قد ضل عقلك ؟ فقال : من يرى مثل هذه الصورة كيف لا يضل عقله ؟ فسألت تلك المرأة ليلى أن تجلس معهن ففعلت ، فانحرف قيس نحوها وعلق قلبه بها ، وعلقته هى أيضا ، فلما أمسوا انصرف قيس وبات بأطول ليلة ، فلما أصبح مضى وجلس إليهن ، ثم جاء فتى من حى ليلى فأقبلت عليه ليلى وتركت قيسا ، فكادت نفسه تذهب ، فلما مضى أنشد قيس :

أأعقر من أجل الكريمة ناقتى
ووصلىَ مقرونٌ بوصل منازل
إذا جاء قَعْقَعْنَ الحلىَّ ولم أكن
إذا جئت أرجو صوت تلك الخلاخل
ولم تُغْنِ عنى بُرْدتى وتجمُّلى
وقومى ونسلى من كرامٍ أفاضل
إذا ما اتفقنا فى الحديث فضلتُهُ
وإن رام وصلا كان أكرم واصل
وإنىَ من إعراضها متألمٌ
قليل العزا والصدُّ لا شك قاتلى

فلما قال ذلك قالت :

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
وندفعُ بالتجمُّل ضغْنَ قومٍ وفى الأحشاء منك هَوًى دفينُ
ونظهر جفوةً من غير حقد وحبُّك فى فؤادى ما يبينُ
فطِب نفساً بذاك وقَرَّ عيناً فإنَّ هواك فى قلبي مصونٌ

فلما سمع ذلك فرح ورجعت نفسه ، فلم يزل معهن حتى أمسى ، ثم ذهب فبات بأطول ليلة ، وجهد أن ينام فلم يقدر ، فأنشأ يقول :

نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا
لِيَ الليلُ هزَّتنى إليك المضاجعُ [١]
أقضِّى نهارى بالحديث وبالمُنَى
ويجمعنى والهمَّ بالليل جامع
لقد ثبتتْ فى القلبِ منكِ محبةٌ كما ثبتت فى الرَّاحتين الأصابعُ
ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى
فؤادى ولكنْ للعتابِ مواضعُ
وأنت التى صيرَّتِ جسمىِ زجاجةً
تنمُّ على ما تحتويه الأضالعُ
أتطمعُ من ليلى بوصل وإنما
تضرِّبُ أرقابَ الرجال المطامعُ [٢]

فلما أصبح غدا فوجدها مع أمها فلم تقدر على أن تكلمه ، فأنشأ يقول:

أخافُ هواها تاركى بمضلَّة
من الأرض لامالٌ لدىَّ ولا أهلُ [٣]
ولا صاحبٌ أشكو إليه بليَّتى
ولا وارثٌ إلى المطيَّة والرحلُ
محا حبُّها حبَّ الألىَ كنَّ قبلها
وحلَّتْ مكانا لم يكن حُلَّ من قبلُ
فحُبِّيهَا حبٌّ قد تمكَّن فى الحشا
فما إنْ أرأى حبًّا يكونُ له مثلُ

---

(١) سبق ما حكاه عن ابن جنى أن الصواب ـ هرتنى ـ بالراء .
(٢) فى رواية : أعناق بدل أرقاب .
(٣) سبقت هذه الأبيات مع اختلاف قليل فى الموضعين .

فرجع وفى نفسه أشدُّ من ذلك ، ثم استمرَّ به الحال من ذكرها ـ اه .

وأظهر هذه الأقوال الثلاثة التى ذكرناها فى هذا الفصل الأوسط .

وأنشد بعضهم فى معناه :

عشقتكِ يا ليلى وكنت صبيةً وكنتُ ابن سبع مابلغتُ ثمانياً

## ( فصـــل )

### فى ذكر تزايد أمره وقلة صبره وكثرة ذكره

أخبرنا أبو العباس أحمد بن حسن الصالحى من لفظه ، أنا البرهان بن مفلح ، أنا أبو بكر الصامت ، أنا أبو محمد المطعم ، أنا ابن ناقة ، أنا الزينبى أنا التنوخى ، أنا ابن حَيَوَيْه ، أنا ابن المرزبان ، قال :

زعم ابن دأب أن معاذ بن كُلَيب أحد بنى نمير بن عوف فرعا من عقيل ، وكان يعشق ليلى الأعلمية من بنى عقيل ، وكان قد أقعده حبها عن رحلته ، فأتاه أخو ليلى بليلى ، فلما نظر إليها وكلمته تحلَّل ما كان به ، وانصرف وقد عوفى . وأن المجنون كان يجلس فى نادى قومه وهم يتحدثون فيقبل على بعض القوم وهو باهت ينظر إليه ولا يفهم ما يحدثه به ، ثم يثوب عقله فيسأل عن الحديث فلا يعرفه ، فحدثه مرة بعض أهله بحديث ثم سأله عنه فى غد فلم يعرفه ، فقال : إنك لمجنون . فقال :

إنى لأجلس فى النادى أحدثهم فأستفيق وقد غالتنىَ الغولُ[1]

يُهْوى بقلبى حديثُ النفس نحوكم حتى يقول جليسى أنت مخبول

كذا ذكره ابن الجَوْزى وغيره نقلا عن أبى عبيدة ، وذكر غيرهم : مخبول[2] .

قال أبو عبيدة : فتزايد الأمر به حتى فقد عقله ، وكان لا يقر فى موضع ولا يؤويه رحل ، ولا يعلوه ثوب إلا مزَّقه ، وصار لا يفهم شيئا

---

(١) ذهبت بعقلى ، والغول كل ما ذهب بالعقل من السحرة والجن فى زعمهم .

(٢) أى فى قول بعض أهله له

بما يكلّم به إلا أن تذكر له ليلى ! فإذا ذكرت أتى بالبداية ورجع عقله.

وذكر من لا يوثق به أن قيسا ذهب إلى ليلى وقد شعروا ببعض أمره، فرأته ليلى ولم تقدر على القيام إليه، فأنشأ يقول:

أيا ليلَ بكّى لى بعينك رحمةً  من الوجد ممّا تعلمين وأعلمَ

أليس عجيبا أن تكون ببلدة  كلانا بها يشتى ولا نتكلمُ

لئن كان ما ألقى من الحب أننى  به كلفٌ جمّ الصبابة مغرمُ[1]

فَعَلّك أنْ ترثى لعبد متيّمٍ  فمثلُك ياليلى يرقُّ ويرحمُ

بكا لىَ ياليلى الضميرُ وإنه  ليبكى بما يلقى الفؤاد ويعلم[2]

فلما اشتهر أمره لام قيسا أهله على ذلك، فصبر عن زيارتها أياما، ثم سار إليها وهو ينشد:

ألاَ أيها القلبُ اللّجوجُ المعذّلُ

أفقْ عن طلاب البيض إن كنت تعقلُ

أفقْ قد أفاق العاشقون عن الهوى

وأنت بليلى هائم القلب مُتْبَلُ[3]

وقد زعمتْ ليلى بأنىّ سلوتها  وأنّ سواها حبُّه لِى مكمّلُ

فقلت لها: يا ليلَ والله إنّنى  لأوفِى بعهدى فى الجميل وأفضلُ

هبِى أننى أذنبت ذنباً جهلتُه  ولم آتِه عمداً وذو الجهل يجهلُ

فقد تبت من ذنبى إليك فها اقبلى

ومثلى إذا ما تاب مثلُكِ يقبلُ[4]

---

(١) كلف: مولع.

(٢) الضمير بالضاد المشددة المفتوحة بلدة بعمان، وبالتصغير جبل بالشام، وبكاؤهما بكاء أهلهما.

(٣) متبل: تبله الحب وأتبله أسقمه أو ذهب بعقله.

(٤) فها اقبلى: ها اسم فعل بمعنى خذى.

عفا الله عما قد مضى لسبيله    فها أنا من ذنبي لكم أتنصَّلُ
فإن شئتِ هاكِ نازعيني حكومةً
وإن شئتِ قلنا إن حكمك أفضلُ[1]
وإن كان هذا الهجرُ هجرَ تدلُّلٍ
فقد زادني يا ليل هـذا التدللُ
أعلِّلُ منك النفسَ بالوعد والمُنَى
فهل لي بيأسٍ منكِ ليلى أعللُ[2]
أهيمُ بكم في كل يومٍ وليلةٍ    جنوناً وجسمي بالسقام موكَّلُ

ثم سار حتى جاء منزلهم فلم يجدهم ، فجعل يقبِّل الأرض ويقول :

أبوسُ ترابَ رجلكِ يالـوَيلِى    ولولا ذاك لم أدْعَ المصابَا
وما بَوْسِى الترابَ لحب أرض
ولكنْ حبُّ مـن وطىء الترابا

ثم صور صورة في التراب منها ، وجعل يعاتبها ويقول :

أصوِّر صورةً في التربِ منها    وأبكى إن قلبي في عذابِ
وأشكو هجـرها منها إليها
شكاية مُدْنَفٍ عَظِـمِ المصابِ[3]
وأشكو ما لقيت وكلَّ وجد    غراماً بالشكاية للترابِ[4]

## ( فصـــل )

في ذكر عزمهم على تزويجه بغيرها لعله يذهب طيره عن طيرها

أخبرنا أبو عمر بن يوسف بن البدر العمرى سماعا عليه ، أنا سعد بن

---

(١) هاك : خذى . وفى رواية : هاتى . وأعدل بدل أفضل

(٢) أعلل منك النفس : أشغلها .

(٣) مدنف مريض .

(٤) يعنى صورتها فيه .

المنجىّ إجازة عن أبى حفص بن البالسى . أنا أبو الحجاج المغربى ، أنا أبو الحسن بن البخارى .

ح : قال شيخنا وأنا عاليا أبو عبد الله بن مقبل فى كتابه عن الصلاح بن أبى عمر عن الفخر بن البخارى . أنبأنا أبو الفرج الحافظ . أنا محمد بن عبد الباقى . أنا على بن المحسّن . أنا أبو عمر بن حَيَّوَيْه . أنا محمد بن خلف قال : روى رباح بن حبيب عن رجل من بنى عامر قال :

لما كثر ذكر المجنون لليلى واشتهر أمره اجتمع إلى أبيه أهله ، وكان سيدا . فقالوا له : زوّج قيسا ، فإنه سيكفُّ عن ذكر ليلى وينساها . فعرض عليه أبوه التزويج فأبى وقال : لا حاجة بى إلى ذلك . وأتى ليلى بعض فتيان الحى ، ممن كان يحسد قيسا ويعاديه ، فأخبرها أنه عزم على أن يتزوج . وجاء المجنون كما كان يجىء فحجبته ولم تظهر له ، فرجع وهو يقول :

فوالله ما أدرى علامَ هجرْتِنى
وأىُّ أمورى فيكِ يا ليلَ أركبُ

أأقطع حبل الوصل فالموتُ دونه
أمَ اَشرَبُ رنقا منكم ليس يشربُ (١)

أمَ اهربُ حتى لا أرى لى مجاوراً
أمَ افعل ماذا أم أبوح فأغلَبُ

فوالله ما أدرى وإنى لدائبٌ
أفكر ما جرى إليها فأعجبُ (٢)

قال : فبلغها قوله فأنشأت تقول : صدق والله قيس حين يقول :

ومن يُطِع الواشين لا يتركوا لهُ
صديقا وإن كان الحبيب إلى القلبِ

وذكَر بعضهم أنه قال له : أنا أزوجك أشرف منها وأحسن . فبكَى وأنشأ يقول :

---

(١) رنقا كدرا . وفى رواية كأسا . (٢) فى رواية ما ذنبى إليك

لِلَيْلَى على قلبي من الحبِّ حاجزٌ
مقيمٌ ولكنَّ الفراقَ عظيمُ
فواحدةٌ تبكي من الهجر والقِلَى
وأخرى لها شَجْوٌ بها وتهيمُ[1]
وينهضني من حب ليلى نواهضٌ
لهن حريقٌ في الفؤاد مقيمُ[2]

إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكا  إلى الله فقد الوالدَيْنِ يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربونَ فعظمُهُ  ضعيف وعهد الوالدين قديمُ
وإن زمانا فرّق الهجرُ بيننا  وبينكِ ياليلى فذاكِ ذميمُ

( فصـــل )

في ذكر خروجهم به إلى مكة ليذهب كلفه ويُقِلَّ
من شغفه فازداد ، وما في قوله من الاتفاق في ذلك النادر

أخبرنا التقي أبو بكر بن محمد بن أبي عمر من لفظه ، أخبرتنا فاطمة ابنة الجوسكاني ، عن أحمد بن علي المرداوي ، أنا أبو محمد بن المحب ، أنا أبو الحسن الصالحي ، وأنا عاليا أبو البقاء بن أبي عمر ، أنا أبو الفرج بن فريح . أنا أبو عبد الله بن العز . عن أبي الحسن الصالحي ، عن أبي الفرج البغدادي . أنا محمد بن أبي منصور ، أنا أحمد بن محمد البخاري . أنا الحسن بن علي الجوهري ، أنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه . ثنا محمد بن خلف . قال : قال أبو عمرو الشيباني :

لما ظهر من المجنون ما ظهر ورأى قومه ما ابتلي به اجتمعوا إلى أبيه وقالوا : ياهذا قد ترى ما ابتلي به ابنك ، فلو خرجت به إلى مكة فعاذ ببيت الله ، وزار

---

(١) القلى البغض . وفي رواية : وأخرى تبكي شجوها وتهيم . ولعله يعني بهما عينيه .

(٢) في رواية : وينهشني من حب ليلى نواهش .

قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا الله عزّ وجلّ ، رجونا أن يرجع عقله ويعافيه الله . فخرج أبوه حتى أتى مكة ، فجعل يطوف به ويدعو الله له بالعافية ، وهو يقول :

دعا المحرمون الله يستغفرونَهُ
بمكة وَهْناً أن تمحَّى ذنوبُها[1]
وناديت أنْ يارب أوّلُ سؤلتى لنفسىَ ليلى ثم أنت حسيبُهَا
فإن أعْطَ ليلى فى حياتىَ لا يتبْ
إلى الله خلقٌ توبةً لا أتوبهَا[2]

حتى إذا كان بمنى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام يا ليلى ، فخرّ قيس مغشيًّا عليه ، واجتمع الناس حوله ، ونضحوا على وجهه الماء ، وأبوه يبكى عند رأسه ، ثم أفاق وهو يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْف من منىً
فهيَّج أطرابَ الفؤاد وما يدرى[3]
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنَّما
أطار بليلى طائرا كان فى صدرى[4]

قلت : هذا مما استشهد به النحاة وغيرهم[5] .

قال ابن خلف : وما أشبه هذا الخبر بخبر حدثنيه النضر بن سعيد الكلابى ، حدثنى أبى ، قال : أحب رجل منا جارية من قومه يقال لها ليلى ، فبينما هو ذات ليلة بشاطىء الفرات إذ مرّ به ملاّح على سفينة وهو يقول :

---

(١) الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه ، وفى رواية شعثا .

(٢) فى رواية : عبد بدل خلق .

(٣) الخيف كل هبوط وارتقاء فى سفح الجبل ، وأطراب الفؤاد أحزانه .

(٤) يعنى أنه أطار فؤاده.

(٥) استشادهم على أن غيرها حال لا نعت لأنه لا يتعرف بالإضافة .

يا ليلى يا ليلى . قال : فشوّقه ذلك وحركه وذكر حبيبته ، فقال :

أوَيْحَكَ يا ملاّحُ أرّقَ ليلتى
دعاؤك ليلى والسَّفينُ تعومُ[1]

تنادى ولا تدرى بمن أنت هاتفٌ
ونعلم ما تهــذى به فنهيمُ

وبه إلى أبى الفرج البغدادى ، أخبرت شهدة فقالت : ثنا جعفر بن أحمد ثنا أبو محمد الجوهرى ، ثنا محمد بن العباس ، ثنا محمد بن خلف ، ذكر محمد بن حبيب عن هشام بن محمد الكلبى وغيث الباهلى وأبى عمرو الشيبانى عن ابن دأب عن رباح ، حدثنى بعض المشايخ قال :

خرجت حاجًا حتى إذا كنت بمنى إذا جماعة على جبل من تلك الجبال، فصعدت إليهم فإذا معهم فتى أبيض حسن الوجه وقد علاه الصفار ، وبدنه ناحل ، وهم يمسكونه ، قال : فسألتهم عنه فقالوا : هذا قيس الذى يقال له المجنون ، خرج به أبوه لمَا بُلِىَ به يستجير له ببيت الله الحرام وقبر محمد عليه السلام ، فلعل الله أن يعافيه . قال : فقلت لهم : فما لكم تمسكونه ؟ قالوا : نخاف أن يجنى على نفسه جناية تتلفه . قال : وهو يقول : دعونى أتنسَّم صبا نجد . فقال لى بعضهم : ليس يعرفك ، فلو شئت دنوت منه فأخبرته أنك قدمت من نجد ، وأخبرته عنها . قلت : نعم أفعل . فدنوت منه فقالوا له : يا قيس ، هذا رجل قدم من نجد . قال : فتنفَّس حتى ظننت أن كبده قد تصدَّعت ، ثم جعل يسائلنى عن موضع موضع ووادٍ وادٍ ، وأنا أخبره ، وهو يبكى : ثم أنشأ يقول :

ألاَ حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابِهِ
وأرواحهُ إن كان نجد على العهدِ

ألا ليت شعرى عن عُوارِ ضَتَىْ قنَا
بطول الليالى هل تغيَّرتا بعدى

---

(١) ويحك : كلمة ترحم

وعن جارتينا بالبَـتيَـل إلى الحمى
على عهدنا أم لم تدوما على العهد [1]
وعن أعلويَّات الرياح إذا جرتْ
بريح الخُزامىَ هـل تهبُّ إلى نجدِ
وعن أقحُوانِ الرمل ماهو صانعٌ
إذا هو أسْرى فى ليلة بِثَرىً جَعْدِ

قوله — وأرواحه — جمع ريح ، فإنها تجمع على رياح وأرواح . قال الله عزَّ وجلَّ ( وهو الذى يرسلُ الرياحَ ) وقال أبو زيد بن جارية فيه حين سبي .

وإن هَبَّتِ الأرواحُ هيَّجْنَ ذكرَهُ
فياطولَ أحزانى عليه ويا وجـدى

وعوارضتى قنا : موضعان . والبتيل : موضع . وأعلويات وروى عُلوُيات : الرياح العالية ، والخزامى كسلامى : نبت له رائحة طيبة ، والأقحوان بفتح الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة على وزن أرجوان : نبت له نَوْر أبيض وأصفر .

وأنشد بعضهم للمجنون :

إذا الحُجَّاج لم يقفوا بليلى فلستُ أرى لحجّهمُ تمـامَا
تمامُ الحجِّ أن تقف المطايا على ليلى وتُقْرِيها السلامَا

وأخبرنا أبو حفص عمر بن خليل الصالحى . أنا أبو حفص بن مفلح . أنا أبو بكر بن المحب . أنا المطعم . أنا كريمة . أنا ابن ناقة . أنا الزينبى . أنا التنوخى . أنا ابن حَيَّوَيْه . أنا ابن المرزبان . أنشدنا محمد بن خلف . أنشدنا القحذمى للمجنون :

---

(١) البتيل جبل باليمامة أو واد .

أقول لإلف ذاتَ يوم لقيتُهُ
بمكةَ والأنضاءُ مُلْقىً رحالُهَا[1]
بربِّك أخبرنى ألَمْ تأثِم التى أَضرَّ بجسمى من زمانٍ خيالهُا
فقال : بلى والله سوف يمسُّها عذابٌ وَبلوَى فى الحياة تنالهُا
فقلتُ ولم أملك سوابق عبرةٍ
سريعٍ على جيب القميص انهمالهَا
عفا الله عنهـا ذنبهـا وأقالَهَا
وإن كان فى الدنيا قليلا نوالُهَا[2]

( فصــل )

فى ذكر منعه من محادثتها والاجتماع بها

أخبرنا أبو بكر محمد بن أبى بكر بن أبى عمر ، أنا أبو بكر القيسى ، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب ، أنا والدى ، أنا أبو الفرج بن أبى عمر أنا أبو الفرج ابن الجَوْزىّ إجازة ، أنا ابن أبى منصور ، أنا المبارك ابن عبد الجبار ، أنا على بن الحسَن ، أنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه ، ثنا محمد ابن خلف . قال : قال محمد بن زياد الأعرابى :

لما نسبَ المجنون بليلى وشهر بحبها اجتمع إليه أهلها فنعوه من محادثتها وزيارتها ، وتهدَّدوه وأوعدوه بالقتل ، وكان يأتى امرأة فتعرف له خبرها فنهوا تلك المرأة عن ذلك ، فكان يأتى غفلات الحى فى الليل . فلما كثر ذلك خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى مروان بن الحكم يشكون إليه ما ينالهم من قيس بن الملوّح ، وسألوه الكتاب إلى عامله عليهم بمنعه من كلام ليلى ، فكتب لهم مروان كتابا إلى عامله يأمره أن يحضر قيسا ويتقدم

(١) الأنضاء جمع نضو وهو البعير المهزول ، ويطلق على كل حيوان مهزول ، وفى رواية : أقول لمفت .

(٢) أقالها صفح عنها ، ونوالها عطاؤها أى وصالها .

إليه فى ترك زيارة ليلى ، فإن أصابه أهلها عندهم أهدر دمه . فلما ورد ذلك الكتاب على عامله بعث إلى قيس وأبيه وأهل بيته فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب الذى من مروان ، وقال لقيس : اتقّ الله فى نفسك لا يذهب دمك هدراً . فانصرف قيس وهو يقول :

ألا حُجِبتْ ليلى وآلى أميرُها
علىَّ يمينا جاهداً لا أزورُهَا(١)
وأوعـــدَنى فيها رجال أبرُهمْ
أبى وأبوها خُشِّنتْ صدورُها(٢)
على غير شىء غير أنى أحبُّها وأنَّ فؤادى عند ليلى أسيرُها

فلما يئس منها وعلم أن لاسبيل إليها صار شبيها بالغائب العقل ، وأحب الخلوة وحديث النفس ، وتزايد الأمر به حتى ذهب عقله ولعب بالحصى والتراب ، ولم يكن يعرف شيئا إلا ذكرها وقول الشعر فيها . وبلغها ما صار إليه قيس فجزعت أيضاً لفراقه وضعفت ضعفاً شديداً .

قوله — وآلى — من الإيلاء وهو الحلف . وقد ذكر بعضهم ذلك بأطول من هذا بألفاظ ركيكة . وفى الشعر زيادة وهو قوله .

لقد حجبوا ليلى وآلىَ أميرُهَا علىَّ يميناً بَرَّةً لا أزورُهَا
فكيف وقلبى فى هواها موكَّل
وقد فاض من أجفان عينى غزيرُهَا(٣)
وفيها جفانى كلُّ إلْف وصاحب
فياليت شعــرى ما يكون مصيرُهَا

---

(١) آلى حلف ، وسيأتى تفسيره له بذلك .

(٢) أبرهم أطيعهم ، وأبى وأبوها بدل من رجال .

(٣) موكل ملازم لهواها ملازمة الوكيل لموكله .

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت
فقد رابنى منها الغداةَ سفورُهَا[1]
وما أسفرت إلا وقد بات أهلها على عجل منىّ وهذا نذيرُهَا
وأوعدنى فيها رجال أعزهم
أبى وأبوها فاستقلّت صدورُهَا[2]
على غير ذنب غير أنى أحبُّها وأن فؤادى عند ليلى أسيرُهَا
وقد عوّضتنى بالوصال قطيعةً فياليت شعرى ما يكون أخيرُهَا

## ( فصل )

فى ذكر احتياله ليراها فلما رُدّت عليه حيله كثر على ذلك عمله

أخبرنا أبو الفتح محمد بن المقرىء ، أنا جدى . أنا أبو الفتح الميدومى. أنا أبو الفرج الحرّانى . أنا أبو الفرج بن الجَوْزى . أنا محمد بن عبد الباقى أنا على بن المحسّن . أنا ابن حَيَّوَيْه . أنا محمد بن خلف . حدثنى إسحاق ابن محمد . حدثنى أبو معاذ النُّميرى :

أن مروان بن الحكم استعمل رجلا من قريش على صدقات كعب بن ربيعة بن عامر . وهم قيس والحريش وجعدة ، فسمع بخبر قيس بن معاذ ، وهو مجنون بنى عامر ، فأمر أن يؤتى به . فسأله عن حاله واستنشده فأنشده فأعْجِبَ به ، وقال : الزمنى ، فلك أن أحتال لك فى أمر ليلى حتى أجمع بينك وبينها . فكان يأتيه فيتحدث إليه ، وكان لبنى عامر مجتمع يجتمعون به فى كل سنة ، وكان الوالى يخرج معهم إلى ذلك المجتمع لئلا يكون بينهم اختلاف، فحضر الوقت فقال قيس للوالى : أتأذن لى فى الخروج معك إلى هذا المجتمع ؟ فأذن له ، فلما عزم على الخروج جاءه قوم من رهط قيس فقالوا له : إنما سألك الخروج معك ليرى ليلى ويكلمها ، وقد استعدى

---

(١) سيأتى هذا البيت لتوبة صاحب ليلى الأخيلية ، ولا مناسبة له هنا .
(٢) يقال استقل فلان غضبا شخص من مكانه لفرط غضبه .

عليه بعض أهلها وأهدر لهم السلطان دمه إن أتاهم . فلما قالوا له ذلك منعه من الخروج معه ، وأمر له بقلائص من إبل الصدقة ، فردها وأبى أن يقبلها ، وأنشأ يقول :

رددت قلائصَ القرشى لمَّا   بدالى النقضُ منه للعهـود
وراحوا مقصرين وخلّفونى   إلى حـزن أعالجه شديد[1]

فلما علم قيس بن معاذ أنه قد منع وأنه لا سبيل إليها ذهب عقله ، وصار لا يلبس ثوبا إلا مزقه ، وهام على وجهه عريانا لا يعقل شيئا مما يكلم به ولا يصلى . فلما رآه أبوه وما يصنع بنفسه خاف عليه التلف ، فحبسه وقيّده وخلّاه ، فكان يدور فى فيافيهم عريانا ، ويلعب بالتراب . وكانت له داية[2] لم يكن يأنس بأحد غيرها ، فكانت تأتيه فى كل يوم برغيف فتضعه بين يديه ، فيوما أكله ويوما تركه ولم يأكله .

وذكر بعضهم أن مروان بن الحكم استخدم رجلا من قريش يقال له عمرو بن نوفل[3] على صدقات بنى عامر . فأتاه المجنون فامتدحه بأبيات من الشعر وجالسه وحادثه ، فطاب له حديثه وأعجبه شعره ، وكساه كسوة حسنة . وأمره بالمقام عنده ، فأقام عنده ثلاثة أيام . وأراد عمرو بن نوفل الخروج إلى بنى عامر . فقال له قيس : إنى أريد الخروج معك . فقال : نعم . فأتاه رهط قيس وقالوا له : إن فى الأحياء جارية يقال لها ليلى ، وهو يحبها ، وقد أهدر لهم دمه أمير المؤمنين . فإن أخذته شاركت فى إثمه . فتوقف فى أخذه ، ثم وهب للمجنون إبلا فردّها عليه ، فتركه ولم يأخذه معه ، فخرج فى البرية . ثم إن مروان عزل عمرو بن نوفل وولّى نوفل بن مساحق . فأتى إلى قيس وقال : يا قيس . لقد بلغ منك الحب مبلغا عظيما .

---

(١) راحوا ذهبوا آخر النهار ، مقصرين مأخوذ من قولهم أقصر فلان دخل فى المقصر أى العشى .

(٢) هذه الكلمة مولدة ولم تكن فى عصره ، فعلها من ابن طولون .

(٣) فى الأغانى : عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، وهو الصواب .

وما أظن بلغ بأحد ما بلغ بك . قال قيس : وسيبلغ مبلغا أكثر من هذا .
فلم يزل نوفل يؤانسه حتى أنس به ، ثم جعل يشكو لنوفل ما يجده من ليلى
وما أهدر أمير المؤمنين من دمه ، فأمر له بكسوة حسنة وبثياب من أثوابه ،
وسأله قبولها فقبلها ولبسها . وقال له : تريد أن أزوجك بليلى عاجلا ؟
قال : إى والله ، ومن لى بهذا ؟ فقال : انطلق إلى عند أبيها حتى أخطبها لك ،
وأرغّبه فى المهر . فقال قيس : لا تفعل يا ابن عم . فقال : والله لأفعلن
ولو أن فيه إتلاف نفسى . قال : فشكره ومدحه بأبيات : وقال له : بالله
سمّعنى ما قلت فى ليلى . فأنشده :

إنى لأجلس فى النادى أحدّثهم
فأستفيق وقد غالتْنِىَ الغولُ[1]

يفشى بقلبى حديثُ النفس عندهمُ
حتى يقول حبيبى أنت مخبولُ[2]

قالوا : شبيهكِ لا يخفى على أحد
ليلى الجمالِ رضاكِ القصدُ والسُّولُ[3]

ليلى هى البدر مالى قطُّ مصطبر
عنها وإن كثرتْ فيها الأقاويلُ

ثم سار نوفل ومعه قيس طالبا أبيات ليلى ، فبلغ أهلها فركبوا خيولهم يريدون
الحرب ، فلما رآهم قال : ما بالكم ؟ قالوا : يا نوفل ، تريد تلبسنا عارا ،
لا نفعل ذلك أبدا أو نموت . ثم كلمهم ووعظهم فأبوا ، وكان العرب
لا يزوجون امرأةً من اشتهر بعشقها . فلما رأى نوفل ذلك قال : قد رأيت

---

(١) سبق تفسيره فى ص ٢٠ .
(٢) سبق أيضاً بألفاظ مخالفة لما هنا :
(٣) روى رضاها بدل رضاك ، والسول مخفف السؤل بالهمز أى المسئول والمطلوب .

يا قيس ، وبالرغم منى ذلك . فقال قيس : والله ما وفيت لى بوعد . فتركه وجعل يهجوه ويقول :

وعارٍ من الأرياش كاسٍ من الهوى
من المال معدامٍ لئيمِ الخلائق[1]

تُرَى هل أتى ليلى بعزمة صادقٍ
كما هاج بى من نوفل بن مساحق

إذا جئته فى الناس منه على الرَّجا
ألَمَّ بقلبٍ مستطار الخــوافقِ

فمن أجل هذا الحب صرتَ كما أرَى
فقلت : نعم والحبُّ مُـرُّ المذائق[2]

سأفضى إلى سُبْـلِ الهلاك وإننى
لمحُتسبٌ راضٍ مشيئة خالق

وجادَ بوعد خالط الشَّـهدُ طعمَـهُ
وألقى عليه موبقاتِ البوائق[3]

وقالوا : وأيمِ اللهِ لاصار بيننا
إلى أن تزيل البيضُ شعثَ المفارق[4]

وقالوا : دَمُ المجنونِ فى الحىِّ مهدرٌ
وقالوا:اضربوا . والقولُ غير موافق

أبى الله أرجو القربَ إلاَّ تطايرت
لتفريقنا بالبين سِرْبُ نواعقِ[5]

---

(١) عار من الأرياش كناية عن سوء حاله ، والمراد من الهوى ميل النفس إلى مالا ينبغى لا الحب . ومعدام أحمق

(٢) فى رواية : أمن أجل .

(٣) البوائق الدواهى جمع بائقة .

(٤) البيض السيوف ، وشعث المفارق الرؤوس .

(٥) سرب نواعق جماعة غربان .

ولا أرتجى يوما من الدهر راحةً
أُسر بها إلا رُميتُ ببائقِ
ولمَّا بلغت الحىَّ والجسمُ ناحلٌ
وقلبي موجوعٌ كثير الخوافقِ
فوالله ما أدرى : أقلبي مخصَّصٌ
بهـذا فألقاهُ بتسليم صادقِ
أم الحبُّ فعَّالٌ بغيرى كما أرى فقلبيَ منهـا خصَّه بالبوائقِ
حلفت بعهد الله يا أمَّ مالك لإنك من قلبي مكان علائقِ[1]
وأكبر شيء نلتُهُ من نوالها أمانىُّ لم تعلق كبرقة بارقِ
فلله قلبٌ فى الهوى ذو صبابة ولله قلب من مَشوق وشائقِ
وإنى لأهوى قربَ ليلى وذكرَهَا
هَوًى صادق فى الحب غير منافق
سأصبر للمقدور يا أمَّ مالكٍ وأعلم أنَّ الصبر مُرُّ المذائقِ

( فصـــل )

فى ذكر عود نفسه عند رؤياها ، ورجوع عقله عند ذكراها

أخبرنا أبو الحسن على بن عبدالله بن أبى محمد ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنا أبو الفرج بن الجوزى ، قال جعفر بن أحمد السراج : أنا إبراهيم بن عمر البرصلى ، أنا أبو عمر بن حَيُّويه ، ثنا محمد بن خلف ، ثنا زكريا بن موسى ، حدثنى سعيد بن السكن ، عن يونس النُّميرى ، قال :

لما خلط قيس بن الملوّح وزال عقله وامتنع من الأكل والشرب سارت أمه إلى ليلى فقالت لها : إن ابنى قد جُنَّ من أجلك وذهب حبك بعقله ، وقد امتنع عن الطعام والشراب ، فإن رأيت أن تسيرى معى إليه ، فلعله إذا رآك أن يسكن بعض ما يجد . فقالت لها : أما نهارا فما يمكننى ذلك ،

(١) أم مالك كنية ليلى .

وإن علم أهلي ذلك لم آمنهم على نفسى ، ولكن سأسير إليه فى الليل ، فلما كان الليل سارت إليه وهو مطرق يهذى ، فقالت له : يا قيس ، إن أمك تزعم أنك جننت من أجلي وأصابك ما أصابك . قال : فرفع رأسه فنظر إليها وتنفّس الصُّعداء وأنشأ يقول :

قالت جُنِنتَ على رأسى فقلت لها
الحبُّ أعظمُ ممَّا بالمجانين [1]
الحبُّ ليس يفيق الدهرَ صاحبُهُ
وإنَّما يُصْرَع المجنون فى الحينِ

وفى رواية أخرى زيادة :

لو تعلمين إذا ما غبتِ ما سقمى
وكيف تسهر عينى لم تلوّيني [2]

وقال ابن حَيَّوَيْه : وأنا محمد بن خلف ، حدثنى محمد بن إسحاق ، حدثنى ابن عائشة عن أبيه ، قال :

ولى نوفل بن مساحق صدقات كعب بن ربيعة ، فنزل بمجمع من تلك المجامع ، فرأى قيس بن معاذ المجنون وهو يلعب بالتراب ، فدنا منه وكلمه ، فجعل يجيبه بخلاف ما يسأله عنه ، فقال له رجل من أهله : إذا أردت أن يكلمك كلاما صحيحا فاذكر له ليلى . فقال له نوفل : أتحب ليلى ؟ قال : نعم . قال : فحدثنى حديثك معها . قال : فجعل ينشده شعره فيها ، فأنشأ يقول :

وشغلتُ عن فهم الحديث سوى ما كان منكِ وأنتمُ شُغْلى [3]

---

(١) على رأسى : متعلق بقالت ، ورواية الأغانى : قالت جننت على أيش . أى على أى شيء .

(٢) فى رواية : لم تلومينى بدل لم تلوينى ، ولواه ما طله .

(٣) فى رواية : وحيكم شغلى

وأديمُ نحو محدثى ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلى

وأنشد :

سَرَتْ فى سواد القلب حتى إذا انتهى
بها السير وارتادت حِمَى القلب حلَّتِ [1]

فللعين تَهمالٌ إذا القلب ملَّها وللقلب وسواس إذا العين ملَّتِ

ووالله ما فى القلب شىء من الهوى
لأخرى سواها أكثرتْ أم أقلَّتِ

وأنشد :

ذكرت عشيَّة الصَّدُفَينِ ليلى
وكُلَّ الدهر ذكراها جديدُ [2]

علىَّ أليَّةٌ إن كنت أدرى أينقص حب ليلى أم يزيد [3]

فلما رأى نوفل ذلك منه أدخله بيتا وقيَّده وقال : أعالجه . فأكل لحم ذراعيه وكفيه فحلَّه وأخرجه ، فكان يأوى مع الوحش ، وكان له داية ربَّته صغيرا ، فكان لا يألف غيرها ولا يقرب منه أحد سواها. فكانت تخرج فى طلبه إلى البادية وتحمل له الخبز والماء ، فيوما أكل بعضه ، ويوما لم يأكل . فلم يزل على ذلك حتى مات .

## ( فصـــل )

### فى ذكر ماوقع له من الاستخبار والاصطياد
### وما حصل له بذلك من الاستدلال والاستمداد

أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الحاكم . أنا النظام بن مفلح . عن

(١) سواد القلب حبته وهى عنة فيه أو مهجته .
(٢) الصدفان ناحيتا الشعب أو الوادى . وقيل موضع
(٣) ألية حلفة .

أبى بكر بن المحب . أنا أبى وأبو الحجاج المقرىء . قالا : أنا أبو الفرج ابن أبى عمر وأبو الحسن بن البخارى .

ح . وأنا عاليا أبو عمر العمرى . أنا جدى . أنا الصلاح بن أبى عمر . أنا أبو الحسن بن البخارى . قال : أنا أبو الفرج بن الجَوْزى إذنا . أنا محمد بن السراج ، أنا الجوهرى . أنا ابن حَيُّوَيْه . أنا ابن خلف . أخبرنى إسحاق بن محمد . حدثنى أبو معاذ النُّميرى . قال :

لقى مجنون بنى عامر الأحوص بن محمد الأنصارى فقال له : حدثنى حديث عروة بن حزام . قال : فجعل الأحوص يحدثه وهو يسمع حتى فرغ من حديثه . ثم أنشأ يقول :

عجبت لعروة العُذْرِىّ أمسى  أحاديثاً لقوم بعد قومِ
وعروة مات موتا مستريحاً  وها نذا أموتُ بكل يومِ

وبه إلى ابن خلف . أخبرنى عبد الله بن محمد الطالقانى ، أنا السَّرى بن يحيى الأزدى عن أبيه عن الفضل بن حسن المخزومى . قال :

دخل كُثَيِّر عزة على عبد الملك بن مروان ، فجعل ينشده شعرا فى عزة وعيناه تذرفان . فقال له عبد الملك : قاتلك الله يا كثير ! هل رأيت أحدا أعشق منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت مرة اسير فى البادية على بعير لى يوضع[1] فبينما أنا أسير إذ رفع لى شخص فأممته ، فإذا رجل قد نصب شركا للظبى وقعد بعيداً منه ، فسلمت عليه فردَّ علىَّ السلام . فقلت له : ما أجلسك ههنا ؟ قال : نصبت شركا للظبى فأنا أرصده . قلت : إن أقمت لديك فصدت أطعمتنى ؟ قال : إى والله . قال : فنزلت فعقلت ناقتى وجلست أحدثه ، فإذا هو أحسن خلق الله حديثا وأرقّه وأجز له ، قال : فما لبثنا أن وقعت ظبية فى الشَّرك ، فوثب ووثبت معه ، فخلّصها من الحبائل ثم نظر فى وجهها مليًّا ، ثم أطلقها . وأنشأ يقول :

---

(١) يسرع السير .

أيا شِبْه ليلى لن تراعِى فأنَّنى
لك اليوم من بين الوحوش صديق
ويا شبه ليلى لن تزالى بروضة
عليـك سحابٌ دائم وبروقُ
فما أنا إذْ أشبهتِها ثم لم تَؤُبْ
سليما عليها فى الحيـاة شفيقُ[1]
فَقِرِّ فقد أطلقتُ عنك لحبِّها فأنت لليلى ما حييت طليقُ

وروى — فقر[2] وزادنى بعض أصحابنا بيتا آخر. وهو:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكنَّ عظم الساقِ منكِ دقيقُ

ثم أصلح شركه وعدنا إلى موضعنا. فقلت: والله لا أبرح حتى أعرف أمر هذا الرجل. فأقمنا باقى يومنا فلم يقع لنا شىء، فلما أمسينا قام إلى غار قريب من الموضع الذى كنا فيه وقمت معه فبتنا به. فلما أصبح غدا فنصب شركه، فلم نلبث أن وقعت ظبية شبيهة بأختها بالأمس، فوثب إليها ووثبت معه، فاستخرجها من الشَّرك ونظر فى وجهها مليًّا ثم أطلقها فمرّت. فأنشأ يقول:

إذهبى فى كلاءة الرحمنِ أنت منى فى ذمة وأمان[3]
لا ترهبى والجيد منكِ لليلى والحشا والبُغـام والعينانِ[4]
لا تخافى بأن تُهاجِى بسوءٍ ما تغنّى الحمامُ فى الأغصانِ[5]

ثم عدنا إلى موضعنا فلم يقع يومنا ذلك الشىء، فلما أمسينا سرنا إلى الغار فبتنا فيه. فلما أصبحنا غدا إلى شركه وغدوت معه. فنصبه وقعد

(١) لم تؤب لم ترجع. (٢) أى بالقاف لا بالفاء.
(٣) فى كلاءة الرحمن فى حفظه.
(٤) البغام صوت الظبى.
(٥) تهاجى: مضارع هاجه أثاره وقاتله.

يتحدث ، وقد شغلنى يا أمير المؤمنين بحسن حديثه عن الجوع ، فبينما نحن نتحدث إذ وقعت فى الشَّرك ظبية فوثب إليها ووثبت معه . فاستخرجها من الشرك ثم نظر فى وجهها وأراد أن يطلقها فقبضت على يده وقلت : ماذا تريد أن تعمل ؟ أقمت لديك ثلاثا كلما صدت شيئا أطلقته ! قال : فنظر فى وجهى وعيناه تذرفان وأنشأ يقول :

أتلحى محبًّا هائمَ القلب إذْ رأى شبيهاً لمن يهواهُ فى الحبل موثـَقـَا[1]
فلما دنا منه تذكّر شجـوَهُ وذكّره من قـد نأى فتشوّقـا

وروى — تذكر شجته — فرحمته والله يا أمير المؤمنين فبكيت لبكائه ، فنسبته فإذا هو قيس بن معاذ المجنون. فذاك والله أعشق منى ياأمير المؤمنين.

وبه إلى أبى بكر بن المحب . أنا المطعم . أخبرتنا كريمة . أنا ابن ناقة . أنا الزينبى . أنا التَّنوخى . أنا ابن حَيّوَيْه . أنا ابن المرزبان . أنا محمد ابن خلف . أخبرنى أبو بكر العامرى ، عن عبد الله بن أبى كريم . عن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى بكر الوالبى . قال :

ذكروا أن المجنون مرَّ برجلين قد صادا عنزا من الظباء فقمطاها . فلما نظر إليها دمعت عيناه وقال : يا هذان خلياها . فأبيا عليه . فقال : لكما مكانها شاة من غنمى . فقبلا منه ودفعاها إليه ، فأطلقها ودفع إليهما الشاة . وأنشأ يقول :

شريت بكبش شبهَ ليلى ولو أبَوْا لأعطيت مالى من طريف وتالد[2]
فيابائعَىْ شِبْهاً لليـلى هُبِـلتما وجُنبتما ما ناله كلُّ عابد[3]

---

(١) تلحى : تلوم .

(٢) شد ايديها ورجليها وأوثقاها .

(٣) فى رواية لأعطيت من مالى طريفى وتالدى . والطريف الجديد والتالد القديم الموروث .

(٤) هبلتما ثكلتكما أمكما .

فلو كنتما حُـرَّين ما بعتما فتى شبيهاً لليلى بيعــةَ المتزايد[١]
وأعتقتماها رغبةً فى ثوابها ولم ترغبا فى ناقص غــير زائد
فلا ظفــرتْ كفَّا كما بكريمة وجُنِّبتما صَوْبَ الغمام الرواعدِ

وقال فى ذلك أيضاً :

يا صاحبىَّ اللّذين اليومَ قد أخذا فى الحبل شبْهاً لليلى ثم شدَّاها[٢]
إنى أرى اليومَ فى أعطاف شاتكما مَشَابِهاً أشبهتْ ليلى فحُلاَّها
وأورداها غــديرا لاعدمتكما من ماء مُزْنٍ قريبٍ عند مرعاها

وبه إلى ابن خلف ، أخبرنى أبو بكر ، أخبرنى عبد الله بن أبى كريم ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى بكر الوالبى ، قال :

قال مجنون بنى عامر : بينما أنا ذات يوم قاعدإذ رأيت ذئبا فرس ظبية ، فاتبعته فإذا هو رابض عندها يأكلها ، فرميته بسهم فما أخطأته ، ثم لحقته فقتلته وشققت بطنه وأخرجت ما كان فى بطنه من لحمها فدفنته وأحرقت الذئب ، وقلت فى ذلك :

أبى الله أن يبقى لليــلى بشاشةٌ فصبرا على ما شاءه الله لى صبرَا[٣]

وبه إلى ابن خلف قال :

ومما يشبه هذه الأخبار فى تشبيه الظباء بالأحباب وإن لم يكن من أخبار المجنون ما حدثنى عمر بن شَبَّه ، ثنا أبو غسَّان المدينى ، أخبرنى عبدالعزيز بن ثابت ، أخبرنى رجل من التجَّار قال : اشترى أبو زيان الحرمى ظبيا من الصلى بدرهمين ، ثم أخذ بيدى حتى إذا كنا بالحرَّة أطلقه وقال : ما كان ليوثق شبه أم سالم ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) فى رواية مابعتما معا . وهى أظهر .
(٢) فى رواية — ثم غلاها — وهى المناسبة للقافية
(٣) فى رواية لحى بدل لليلى .

ألاَ ياغزالَ الرمل رمل الصَّرائم ألا لا فقد ذكَّرتنى أمَّ سالم[١]
كذا الجيدُ والعينانِ منها وحُوَّة اللِّثاتِ وقد خالفتها فى القوائم

وبه إلى ابن خلف ، أنشدنى محمد بن سعيد، أنشدنى أبو عمر المازنى للمجنون:

راحوا يصيدون الظباء وإننى لأرى تصيُّدَها علىَّ حرامُ[٢]
أشْبَهْنَ منكِ سوالفاً ومحاجراً فلها علينا حرمةٌ وذمامُ

وقال :

أيا شِبْه ليلى إنَّ ليلى مريضة وأنتَ صحيح إن ذا لمحَالُ
أقول لظبى مرَّبى وَهْوَ راتعٌ: أأنت أخو ليلى فقال : يقال
فإلاَّ تكنْ ليلى غزالاً بعينهِ فقد أشبهتها ظبية وغزالُ

وبه إلى ابن خلف قال : أنشِدْتُ للمجنون :

أخذتْ محاسنَ كُلِّ ما ضَنَّتْ محاسنُهُ بحسنهْ
كاد الغزال يكونُها لولا الشَّوَى ونشوزُ قرنِهْ[٣]

## ( فصل )

## فى ذكر كلفها به

أخبرنا الكمال محمد بن حمزة الحسينى ، أنا أبو العباس بن الشريفة ، أنا أبو حفص البالسى ، أنا أبو الحجَّاج المدنى أنا ، أبو الحسن بن البخارى .

ح : قال شيخنا ، وأنا عاليا أبو العباس بن عبد الهادى ، أنا أبو عبدالله ابن أبى عمر ، عن أبى الحسن بن البخارى ، عن أبى الفرج البكرى ، أنا ابن ناصر ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا الجوهرى ، أنا ابن حَيَّوَيْه

---

(١) الصرائم جمع صريمة وهى القطعة معظم الرمل ، ألا لا أى لا أقيدك .

(٢) حرام مفعول أرى فهو منصوب لا مرفوع ، أو هو مبتدأ مؤخر ، وعلى خبر مقدم . والجملة فى موضع نصب مفعول أرى ، والظاهر أنه من الشعر المنحول .

(٣) الشوى أطرافه أى أرجله .

ثنا ابن خلف ، حدثنى قاسم بن الحسين ، عن العمرى ، أنا الهيثم بن عدى ، أنا عثمان بن عثمان بن عمارة ، عن أشياخهم من بنى مُرَّة ، قال :

رحل رجل منا إلى ناحية الشام مما يلى تَيْماء والشَّراة[1] فى طلب بغية له ، فإذا هو بخيمة قد رفعت له ، وقد أصابه مطر فعدل إليها فتنحنح ، فإذا امرأة قد كلمته فقالت لبعض العبيد : سلوا هذا الرجل : من أين أقبل ؟ فقلت : من ناحية اليمامة ونجد . فقالت له : انزل . فنزل وراحت إبلهم وغنمهم ، فإذا أمر عظيم ، وإذا رعاء كثير ، فقالت : أىّ بلاد نجد وطئت ؟ قلت : كلَّها . فقالت : بمن نزلت هناك ؟ قلت : ببنى عامر . فتنفَّست الصُّعداء وقالت : بأى بنى عامر ؟ فقلت : ببنى الحريش . فاستعبرت ثم قالت : هل سمعت بذكر فتى يقال له قيس ويلقَّب بالمجنون ؟ فقلت : إى والله ، ونزلت بأبيه وأتيته حتى نظرت إليه فى تلك الفيافى يهيم ، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تذكر ليلى ، فيبكى وينشد الأشعار يقولها فيها . قال : فرفعت الستر بينى وبينها فإذا شقَّة قمر ، فلم ترعينى مثلها ، فبكت وانتحبت حتى ظننت والله أن قلبها قد انصدع ، فقلت لها : أيَّتها المرأة ، اتقى الله ، فوالله ما قلت بأساً . فمكثت طويلا على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

ألا ليت شعرى والخطوبُ كثيرةٌ  متى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ[2]
بنفسىَ من لا يستقلُّ برحلهِ  ومن هو إن لم يحفظ الله ضائعُ

ثم بكت حتى غُشِىَ عليها ، فلما أفاقت قلت : من أنت يا أمة الله ؟ قالت : أنا ليلى المشئومة عليه ، غير المساعدة له . فما رأيت مثل حريقها عليه ووجدها به ، فمضيت وتركتها .

---

(١) تيماء بلد بالحجاز ناحية الشام ، والشراة موضع بين دمشق والمدينة .
(٢) يقال استقله حمله ورفعه .

## ( فصـــل )

## فى ذكر ذهابه فى تنشّق الأخبار

أخبرنا أبو حفص عمر بن على بن الصيرفى ، أنا أبو الفرج بن الطحان أنا الصلاح بن أبى عمر. أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج بن الجوزى قال : قال ابن السراج : أنا الجوهرى ، أنا أبو عمر الخزَّاز ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال العمرى عن عطاء بن سعيد . قال :

خرج المجنون مع قوم فى سفر ، فبينما هم يسيرون إذ تشعبت لهم طريق إلى الماء الذى كانت عليه ، فقال المجنون لأصحابه : إن رأيتم أن تحطوا وترعوا وتنتظرونى حتى آتى الماء ؟ فأبوا عليه وعذلوه ، فقال لهم : أنشدكم الله ، لو أن رجلا صحبكم وتحرَّم بكم فأضلَّ بعيره أكنتم مقيمين عليه يوما حتى يطلب بعيره ؟ قالوا : نعم . قال : فوالله لليلى أعظم حرمة من البعير . ثم أنشأ يقول :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلة إنى إذَنْ لصبورُ
هَبُونى امرءًا منكم أضلَّ بعيره ... له ذمـةٌ إنَّ الذمام كبيرُ (١)
وللصاحبُ المتروكُ أعظم حرمةً ... على صاحب من أن يضلَّ بعيرُ
عفا الله عن ليلى الغداةَ فإنها ... إذا وليتْ حكما علىَّ تجـورُ

قال : فأقاموا عليه حتى رجع .

وبه إلى ابن الجَوْزى ، أنا ابن ناصر ، أنا الحميدى ، أنا أبو غالب بن بسران ، أنا أبو الحسين بن دينار ، أنا على بن الحسين الكاتب ، أخبرنى الحسن بن على ، حدثنى عبد الله بن عمرو بن أبى سعد ، ثنا على بن الصباح عن الكلبى قال :

خرج المجنون فى عدَّة من قومه يريدون سفرا لهم ، فمروا فى طريق يتشعَّب وجهين : أحدهما ينزله رهط ليلى ، وفيه زيادة مرحلة ، فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الجهة فأبوا ، فمضى وحده وقال :

---

(١) ذمة : عهد

أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلة إنى إذَنْ لصبورُ

الأبيات :

وقيل إنه كان يمر على ديارهم ويقول :

أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى ... أقبّل ذا الجدارَ وذا الجدرَا

وما حب الديار أهاج وجدى ... ولكنْ حبُّ من سكن الديارَا

وقيل إنه كان يسأل الرعاة عنهم أين نزلوا ويقول :

سألت مُرَاد الحى لما أتيته ... وأخبرتُه ماقد جرى ودهانِى [1]

وقلت له : أين الذين عهدتهم ... ببطنك فى طيب وحسن أمانِ

فقال:مضوا واستودعونى ديارهم ... ومن ذا الذى يبقى على الحدَثانِ [2]

وذلك أنهم كانوا قد نزلوا بجبل مراد .

وقيل إنه خرج مرة حتى جاء حيها فوقف وإذا فتى قد خرج ، فلما رآه أنكر أمره وقال له : من تكون ؟ وأى حاجة لك ههنا ؟ قال : أنا من خزاعة ضلَّت لى ناقة فخرجت فى طلبها ، فقال له : كذبت ، بل أنت قيس ابن معاذ ، ارجع من حيث أتيت ، فإن ظفر بك الحى قتلوك . فرجع وهو يقول :

واخجلتى من وقوفى وَسْطَ داركمُ ... وقول واشيكمُ : من أنت يا رجل

فقلت : حيران قد ضلَّ الطريق به ... فأرشدونى فلى فى حيكم شُغُل

فقال لى: سر راجعا ليس الطريق كذا ... كيف احتيالى وقد ضاقت بىَ السبلُ

فرجع فمر براعٍ فنزل عنده فسقاه لبنا ، فجعل يقول :

وما الناسُ إلا العاشقون ذوو الهوى ... ولا خير فيمن لا يحب ويعشقُ

إذا لمتها قالت : وعيشك إننا ... حراصٌ على اللقيا ولا نتفرق

فإن كنت مشتاقا فسرْ نحو بابنا ... فنحن إلى ما كان من ذاك أشواقُ

---

(١) مراد جبل كما سيأتى للمؤلف ، ورواه الأستاذ عبد الستار فراج سواد الحى

(٢) الحدثان صروف الدهر .

وقيل إنه مرَّ بطائفة من بني عمها وهو يقول :

وما بِيَ إلا حب ليـلى كفاية　　جنونا وإني في الهـوى لأسير
فلا تقتليني أمَّ مالكَ عنـوةً　　وأنتِ على عتق الغـداةَ قدير
فياربِّ هَبْ نفسي لنفسي فآوني　　بليلي لتجْلىَ كربةٌ وزفـيرُ (١)

وقيل إنه خرج مرَّة إلى حيهم فنزل بامرأة يقال لها سعاد ، فاختفى عندها فأحسَّ بذلك أهلها . فقدموا إلى سعاد في ذلك ، فجاءت إليه وحذرته وأخبرته أنها غريبة ، وأنها تخاف على نفسها أن يخرجوها من الحي أو أن يقتلوه عندها ، فقال :

فإن تزجريني عنك خيفة كاشحٍ　　بحالي فإني ما علمتِ كئيبُ (٢)
وقد حلَّ بي ما كنت عنه بمعزلٍ　　لحَيْنِي فموتي ياسعاد قريب (٣)
وإني لمضْنى من جوايَ صبابة　　يقول لي الواشون : أنت مَريبُ
أجارتنا إن الخطوب تنوبُ　　وإنيَ صبٌّ ما أقام عسيبُ (٤)
أجارتنـا إنَّا غريبان ههنا　　وكل غريب للغريب نسيبُ
غريبٌ يقاسي الذلَّ في كل بلدةٍ　　وليس له في العـالمين حبيبُ
فلا تسمعي فينا مقالةَ جاهلٍ　　فربِّي كما قـد تعلمين مجيبُ

وقيل إنه ذهب مرة فرآها ولم تقدر على كلامها فقال :

إذا نظرت نحوى تكلمَّ طرفُهَا　　وجاوبها طرفي ونحن سكوتُ
فواحـدةٌ منهـا تبشر باللّقـا　　وأخرى لها نفسي تكاد تموتُ (٥)
إذامت خوفَ اليأسِ أحيانيَ الرجا　　فكم مـرةٍ قدمتُ ثم حييتُ

---

(١) في رواية : وداوني بدل فآوني . وزفير : نفس حار .
(٢) الكاشح العدو الباطن العداوة
(٣) لحيني لموتي
(٤) عسيب جبل
(٥) واحدة وأخرى صفة لنظرة محذوفة

ولو أحدقوا بي الإنس والجنّ كلهم ... لكي يمنعوني أن أجيك لجيتُ [1]

وقيل إنها اجتمعت به مرة ثم ودعته فقال :

ضعفتُ عن التسليم يوم وداعها ... فودَّعتها بالطرف والعين تدمعُ [2]

وأخرستُ عن رد الجواب فمن رأى ... محبًّا بدمع العين قلبي يودع [3]

عليك سلام الله مني تحيةً ... إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

وقيل إنه قال مرة وقد رحلوا عن قومه :

فما للنجوم الطالعات نحوسُهَا ... عليّ أمَا فيها الغداةَ سُعود

ألا ليتني قدمت شوقاً ووحشة ... بفقدك ليلى والفؤادُ عميدُ

وإن تبعدي ياليلَ لم أسلُ عنكمُ ... ولكنَّ حبي والغرامَ جديدُ

وإن تقربي ياليل فالحب صادق ... كما كان ينمو والنوال بعيدُ

وإن كان هذا البعدُ أخلف عهدكم ... فحبي لكم حتى المماتِ يزيد

وقيل إنها زارته مرة فأنشأ يقول :

زها جسم ليلى في الثيابِ كما زها ... مع الغصن غصن قد تزايد عودُها [4]

وما بالُ ليلى ليس تخلص من دمي ... وتعلم أن النار حامٍ وقودُها

ألا قل لليلى قد وهبت لها دمي ... وجدت بنفسي قد نعاها عزيزها

## ( فصـــل )

في عدم شعوره بالآلم مع ذكرها وسؤاله الغريب والبعيد بكل أمرها

أخبرنا البرهان إبراهيم بن قاسم الدمشقي ، أنا أبو العباس الصالحي ، أنا الصلاح بن أبي عمر : أنا الفخر بن البخاري ، أنبأنا أبو الفرج البكري قال : روى العُتْبي قال :

---

(١) أجيك وجيت مخفف أجيئك وجئت

(٢) في رواية : منعت بدل ضعفت .

(٣) في رواية قلبا يودع

(٤) غصن بالصاد والنون أو غصن بالضاد .

مر المجنون يوما بزوج ليلى وهو جالس يصطلى فى يوم شات ، فوقف عليه ثم قال :

بربك هل ضممت إليك ليلى قُبَيل الصبح أو قبَّلت فاها
وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأقحوانة فى نداها[1]

فقال : أللهم إذ حلفتنى فنعم . فقبض المجنون بكلتى يديه قبضة من الجمر فما فارقهما حتى خرَّ مغشيًّا عليه ، فسقط الجمر مع لحم راحتيه .

قوله — وهل رفت — بالراء المهملة المفتوحة ، ويقال — زفت — بالزاى المضمومة[2] والقرون قرون الشَّعر ، ورفيف بالراء المهملة، وروى بالزاى أيضا ، والأقحوانة بفتح الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة معروفة .

( فصــــل )

فى ذكر ماحصل له فى جنونه من الصوت ، وذهابه
مع الوحوش حتى جاءه الموت

أخبرنا التقى أبو بكر بن موسى الأنصارى ، أنا الزين بن الطحان ، أنا أبو عمر بن قدامة بن أبى الحسن السعدى ، أنبأنا أبو الفرج الحافظ ، أنا محمد بن عبد الباقى ، أنا على بن المحسّن التنوخى ، أنا حَيَّوَيْه ، أنا محمد ابن خلف ، حدثنى عبد الله بن عمرو ، ثنا على بن الحسن ، ثنا داود بن محمد عن عمرو بن رزام ، قال :

وفد فتى من نَهْد يقال له صباح بن عامر على الملوّح أبى قيس المجنون، فسلمَّ عليه وخبَّره نسبه وقال له : إنى قد وفدت من بلدى لأنظر إلى قيس وأسمع من شعره ، فما فعل ؟ فبكى الشيخ حتى غُشىَ عليه ، ثم سكن وقال له : وأنَّى لك بقيس ؟ إن قيسا عشق ابنة عم له ، وإنه جُنَّ على رأسها ، فهو

(١) رفت اهتزت . وقرونها جمع قرن وهو خصلة الشعر
(٢) من زف الطائر بسط جناحه ورمى بنفسه

لا يأنس بأحد ، يرد مع الوحش يوم ورودها ، ويصدر معها إذا صدرت ، ولكن ههنا شاب يذهب إليه فى كل يوم ، وهو يأنس به ويحدثه ، فإن شئت فصر إليه . قال صباح : فصرت إلى الفتى فرحب بى وسألنى عن حالتى فأخبرته ، فقال لى : تروى لقيس بن ذَريح شيئا ؟ فإن المجنون مشتهر بشعره[1] قلت : أنا من أحفظ الناس لشعر قيس . قال : فصر إلى موضع كذا وكذا فاطلبه فى تلك الفيافى فإنك تجده ، واعلم أنه إذا رآك سوف ينفر منك ويهوِى إليك بحجر ، فلا يهولنَّك واقعد كأنك لا تريده ، فإذا رأيته قد سكن : فاذكر له ليلى ، فإنه سيرجع إليه عقله ويُرجع صحته ويحدثك عن حاله . ثم أنشده من شعر قيس شيئا فإنه مشغوف به[2] قال صباح : ففعلت الذى أوصانى به الفتى ، فلم أزل أطلبه حتى انتصف النهار ، فإذا أنا برجل عريان قد شعث شعر رأسه على حاجبيه ، وإذا هو قد فعل حظيرة من تراب وهو قاعد فى وسطها وإلى جانبه أحجار وهو يخطّط بإصبعه فى الأرض ، فلما رآنى أهوى إلى حجر ووثب ليقوم ، فقعدت ناحية أرمى ببصرى إلى غيره ولا أحفل به ، ثم إنه رجع إلى عبثه وتخطيطه ، فقلت له : أتعرف ليلى ؟ قال : بأبى والله هى ، وكيف لا أعرفها ؟ قلت : لله دَرُّ قيس بن ذريح حيث يقول :

وإنى لمَفْنٍ دمعَ عينىَ بالبكا ... حِذارًا لما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة : ... فراق حبيب لم يبنْ وهْوَ بائنُ[3]
وما كنت أخشى أن تكون منيتى ... بكفَّيكِ إلا أن ما حمَّ حائنُ[4]

فقال : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

---

(١) رواية الوالى : معجب بشعره
(٢) لعل قوله فيما سبق — مشتهر بشعره — محرف عن مشغوف كما هنا
(٣) فى رواية : بان أو هو بائن
(٤) فى رواية : يكفى بدل كفيك ؛ وحان بدل حم أى قدر

نعب الغرابُ ببين ليلى غُدوةً إن الكتابَ ببينهم مخطوطا[1]
أصبحت من أهلى الذين أحبهم كالسهم أصبح ريشه ممروطا[2]

ثم وثب مسرعا إلى ظبي سنحت له فغاب عن عيني فتبعته فجعلت أقفو أثره إلى آخر النهار فما وقعت عيني عليه ، ثم غدوت فى اليوم الثانى فجعلت أطوف عليه فى تلك الفيافى حتى إذا جنَّنى الليل انصرفت ، فلما كان فى اليوم الثالث طلبته فإذا أنا به عريان بين أحجار ميت .

وبه إلى أبى الفرج الحافظ ، أخبرنى ابن أبى منصور ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا المحسِّن بن على ، أنا ابن حَيَّوَيْه ، ثنا محمد بن خلف ، أنا أحمد بن الهيثم القرشى ، ثنا العباس بن هشام عن أبيه هشام بن محمد بن السائب :

أن رجلا من أهل الشام كان له أدب ، وأنه ذكر للمجنون وأخبر بخبره فأحبَّ أن يراه وأن يسمع من شعره ، فخرج يريده حتى إذا صار إلى حيه سأل عنه فأخبر أنه لا يؤويه مكان ، وأنه يكون مع الوحش ، قال : فكيف لى بالنظر إليه ؟ قيل : إنه لا يقف لأحد حتى يكلمه إلا لداية له هى التى كانت ربَّته ، فكلم دايته وراسلها فخرجت معه تطلبه فى مظانه التى يكون فيها فى البرية ، فطلبوه يومهم ذلك فلم يقدروا عليه ، ثم غدوا فى اليوم الثانى يطلبونه ، فبينما هم كذلك إذْ شرفوا على وادٍ كثير الحجارة ، وإذا به فى ذلك الوادى بين الحجارة ميتا ، فاحتمله الرجلُ ودايته حتى أتيا به الحىَّ ، فغسلوه وكفنوه ودفنوه .

فقال الرجل : قد كنت أقدّر أن أسمع منه شيئا من شعره . فأنشدوه أشياء سألهم فى إنشادها له . فكتبها وانصرف .

وقد حكى فيه غير ذلك :

---

(١) لعله — فأتى الكتاب — أو هو على لغة إن حراسنا أسد بنصب الجزءين

(٢) ممروطا منتوفا

فذكر أن كُثَيرا قال : بينما أنا عند مجنون بنى عامر إذ مرَّ راكب فقال : تعزَّ يا قيس . قال : عمَّنْ ؟ قال : عن ليلى . فقام إلى بعيره وقمت إلى بعيرى ، ثم أتينا الحى فأرشد إلى قبرها ، فأقبل يقبله ويلزمه ويشمُّ ترابه وينشد الشعر ، ثم شهق فمات فدفنته

## ( فصـــل )

فى اقتداء العشاق بالمجنون وماوقع لهم به من الأخبار والفنون

أخبرنا أبو محمد عبد القادر بن محمد الصالحى ، أنا أبو عبد الله العماد ، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا الزينبى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حَيَّوَيْه ، أنا ابن المرزبان ، حدثنى محمد بن الفضل عن أحمد بن محمد الأزدى ، عن عبد الله بن همام قال :

خرجت أريد بعض الحوائج وإذا أنا بابن أبى مالك وهو قاعد فى الصحراء بين الحيرة والكوفة ، فقلت : ما تصنع ههنا ؟ قال : أصنع ما كان صاحبنا يصنع . قلت : ومن صاحبكم ؟ قال : مجنون بنى عامر صاحب ليلى ، قال : وإلى جنبه حجر فتناوله وعدا خلفى فتجاوزنى الحجر ، وعدت فقعدت بعيدا منه ، قال : فقال لى : والله ما أحسن ولا أجمل حيث يقول :

علقتك إذ عينى عليها غشاوة　　　فلما انجلت قطَّعت نفسى ألومُها [1]

ما له لم يقل كما قلت :

رمانى الهوى منه بأعظم شجوه　　　وعسكر حولى الهجرُ دونَ حبيبى [2]

فصبرا لعلَّ الدهر يجمع بيننا　　　بإلف حبيب أو بموت رقيب

قال : ثم نقول ما هو أحسن من هذا : لا إله إلا الله الواحد الأحد ، علا فقدَّر ، وحكم فعدل .

وبه إلى ابن المرزبان قال : وحدثنى العباس بن محمد بن عبد الرحمن

---

(١) لم أجد هذا البيت للمجنون فيما نسب من شعر إليه ومثله لا يقوله

(٢) الشجو الهم والحزن .

الأنبارى ، حدثنى أبى ، قال . سمعت عبد الله بن إدريس يقول :

رأيت ابن أبى مالك فى موضع قد كان فيه رماد ومعه قطعة جص يخطّط بها ، ويستبين بياض الجص فى سواد الرماد ، فقلت له : يا ابن أبى مالك ما تصنع ؟ قال : ما كان صاحبنا يصنع . يعنى مجنون بنى عامر ، قال : قلت وما كان يصنع ؟ قال : أمَا سمعته يقول :

عشيةَ مالى حيلةٌ غير أنَّنى    بلقط الحصا والخطّ فى الدار مولَعُ
أخط وأمحو كُلّ ما قد خططتُهُ    بدمعىَ والغربان فى الدار وُقعُ

قلت : ما سمعته قال . فتضاحك ثم قال : أنا سمعت قول الله عزَّ وجلْ ( ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظلّ ) أفسمعته أو رأيته يا ابن إدريس ؟ هذا كلام العرب .

وبه إليه قال : وحدثنى محمد بن الفضل . حدثنى بعض أهل الأدب عن محمد بن أبى نصر الأزدى ، قال :

رأيت بالبصرة مجنونا قاعدا على ظهر الطريق بالمِرْبد(1) فكلَّما مرَّ به ركب قال :

ألا أيُّها الركبُ اليمانونَ عرّجُوا    علينا فقد أمسى هوانا يمانيَا
نسائلْكمَ هل سالَ نَعمانُ بعدنا    وحَبَّ إلينا بطنُ نعمانَ واديَا(2)

قال : فسألت عنه فقيل : هذا رجل من أهل البصرة كانت له ابنة عم وكان يحبها ، فزوجوها رجلا من أهل الطائف فنقلها ، فاستَوْلهَ عليها كالمجنون من بنى عامر :

وبه إليه قال : وأخبرنى أحمد بن معاذ بن يزيد الكنانى ، حدثنى محمد ابن زياد الأعرابى ، قال :

رأيت بالبادية أعرابيًا فى عنقه تمائم وهو عريان ، وعلى سوأته خرقة

---

(1) كان مجتمعا للشعراء والأدباء ومن إليهم بالبصرة .
(2) حب إلينا : صيغة أى ما أحبه !

وفى رجله حبل ، وخلفه عجوز ممسكة بطرف الحبل ، وإذا هو يعضض ذراعيه ، فقلت للعجوز : من هذا ؟ فقالت : ابن بنتى . فقلت لها : ماحاله؟ إنه مُسٌّ من الجن . قالت : لا والله ، ولكنه نشأ وابنة عم له فى مكان واحد ، فعلقها وعلقته فحبسها أهلها عنه ومنعوه منها ، فزال عقله وصار إلى ما ترى كمجنون بنى عامر . فقلت لها : ما اسمه ؟ فقالت : عكرمة . فقلت : ياعكرمة : ما أصابك ؟ فقال : أصابنى داء قيس وعروة وجميل ، فالجسم منى نحيل ، والفؤاد عليل .

قال : فتركته ومضيت .

وبه إليه قال : وحدثنى هارون بن محمد ، أخبرنى أبو عبد الله القرشى ، قال . حدثنى الحَكَم ،قال:

قيل لرجل من بنى عامر : هل تعرفون فيكم المجنون الذى قتله الحب؟ قال : إنما يموت من الحب هذه اليمانية الضعاف القلوبُ .

قال : وقال محمد بن جعفر ، أنشدنى المارستانى :

إذا قربتْ داراً كلفتَ وإن نأتْ ... أسفتُ فلا بالقرب أسلو ولا البعدِ [1]

وإن وعدتْ زاد الهوى لانتظارها ... وإن بخلتْ بالوعد مت على الوعدِ

ففى كل حب لا محالةَ فرحة ... وحبُّكِ ما فيه سوى محكم الجَهدِ

وقد زاد بعضهم :

وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا ... يملُّ وأن النأىَ يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يُشفَ ما بنا ... على أنَّ قربَ الدار خير من البعدِ

وروى — على ذاك قرب الدار خير من البعد — وزاد بعضهم :

على أنَّ قربَ الدار ليس بنافِع ... إذا كان من تهواه ليس بذى وُدِّ

(١) كلف به أحبه حبا شديدا وأولع به . وهذه الأبيات للمجنون ولا معنى لذكرها فى هذا الفصل ، ورواية هذا البيت فى ديوانه :

وإن قربت دارا بكيت وإن نأت ... كلفت فلا للقرب أسلو ولا البعد

وأخبر الشهاب أحمد بن حسن بن المبْرَد ، انا أبو عبد الله بن فوارس ، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا والدى ، أنا ابن أبى عمر ، أنا ابن الجوزى ، أنا المبارك بن على ، أنا ابن العلاّف ، أنا عبد الملك بن بسران ، أنا أحمد ابن ابراهيم الكندى ، ثنا محمد بن جعفر ، أنشدنى الصيدلانىّ لنفسه .

قالت جُنِنتَ على رأسى فقلت لها ‏ ‏ العشقُ أعظمُ مما بالمجانينِ (١)
العشق ليس يفيق الدهرَ صاحبهُ ‏ ‏ وإنما يصرع المجنونُ فى الحينِ

وبه إلى ابن الجَوْزى ، حدثت شهدة بنت أحمد ، أنا جعفر بن أحمد ، أنا أبو محمد الجوهرى ، أنا أبو عمر بن حَيّوَيْه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن ، عن العباس بن على ، حدثنى بعض أهل المدينة ، قال .

دعانى بعض أهل المدينة إلى جارية تغنى ، فلما دخلنا عليها إذا هى أحسن الناس وجها ، وإذا بها انخماط وجه (٢) وسهو وسكوت ، فجعلنا نبسّطها بالمزاح والكلام ويمنعها من ذلك ما تُكاتم ، فقلت فى نفسى : والله كأن بها هياما وطائفا من الحب . فأقبلت عليها فقلت . بالله لمّا صدقتنى ما الذى بك؟ فقالت : بَرْح الذكر (٣) ودوام الفكر ، وخلو النهار ، والتشويق إلى من سار . وأخذت العود فغنّت :

سيوردنى التّذكارُ حوضَ المهالكِ ‏ ‏ فلستُ لتذكار الحبيب بتاركِ
أبى الله إلا أن أموتَ صبابةً ‏ ‏ ولست لمّا يقضى الإلهُ بمالكِ
كأنّ بقلبى حين شطّتْ به النّوى ‏ ‏ وخلّفنى فرداً صدورُ النيازكِ (٤)
تقطّعتِ الأخبار بينى وبينه ‏ ‏ لبعد النّوى واشتد سُبْلُ المسالكِ

---

(١) هذان البيتان للمجنون كما سبق فى ص ٣٥ ، ولا فرق إلا إبدال لفظ العشق بالحب .

(٢) من خمط بمنى تغير .

(٣) برح الذكر شدته

(٤) جمع نيزك وهو شعلة ترى فى السماء كالرمح . وهو أحد أقسام الشهب المتساقطة

قال . فو الله لقد خفت أن سلبت عقلى لمَّا غنت ، فقلت : جعلنى الله فداءك ، وهل الذى صيرَّك إلى ما أرى يستحق هذا منك ؟ فو الله إن الناس كثير ، فلو تسليت بغيره فلعل ما بك أن يسكن ويخفَّ ، فقد قال الأول :

صبرتُ على اللذات لمَّا تولَّتِ وألزمتُ نفسى صبرها فاستمرَّتِ
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعتْ تاقتْ وإلا تسلَّتِ

فأقبلت علىَّ فقالت : قد والله رمت ذلك فكنت كما قال قيس بن الملوَّح .

ولمَّا أبى إلا جماحاً فؤادُهُ ولم يسْلُ عن ليلى بمال ولا أهلِ
تسلىْ بأخرى غَيرْها فإذا التى تسلىَّ بها تغرى بليلى ولا تُسْلِى (١)

قال . فأسكتتنى والله بتواتر حججها عن محاورتها ، وما رأيت كمنطقها ولا شكلها وأدبها .

وبه إلى الجَوْزى ، أنا ابن ناصر ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا على ابن المحسِّن التَّنوخى ، ثنا محمد بن عبد الرحيم المازنى ، ثنا محمد بن الحسين بن القاسم الكوكبى ، ثنا أبو العباس الكديمى ، أنا السُّلمى ، عن محمد بن نافع مولاهم ، عن أبى ريحانة أحد حجَّاب عبد الملك بن مروان ، قال :

كان عبد الملك يجلس فى كل أسبوع يومين جلوسا عامًّا ، فبينما هو جالس فى مستشرف له ، وقد أدخلت عليه القصص ، إذ وقعت فى يده قصة غير مترجمة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة أن تغنِّينى ثلاثة أصوات ثم ينفذ فىَّ ما شاء من حكمه فعل . فاستشاط عبد الملك من ذلك غضبا ، وقال ، يا رباح . علىَّ بصاحب هذه القصة . فخرج الناس جميعا وأدخل عليه غلاما كماء عذب كأهيأ الفتيان وأحسنهم ، فقال عبد الملك : ياغلام ، أهذه قصتك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : وما الذى غرَّك منى ؟ والله لأفعلن بك ولأردعنَّ بك نظراءك من أهل الجسارة ،

---

(١) غيرها نعت لأخرى ومضاف إليه وإن كان المنعوت نكرة . لأن غير لا تتعرف بالإضافة .

علىّ بالجارية . فجيء بجارية كأنها فلقة قمر بيدها عود وطرح لها كرسي وجلست ، فقال عبد الملك . مرْها يا غلام . فقال لها . يا جارية ، غنيني بشعر قيس بن ذريح :

لقد كنتُ حسبَ النفس لو دام ودُّنا ولكنَّما الدنيا متاعُ غَرُورِ [1]
وكنَّا جميعا قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالَيْ غبطـة وسرورِ
فما برحَ الواشون حتى بدتْ لنا بطونُ الهـوى مقلوبةً بظهورِ

فغنَّت فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تمزيقا ، ثم قال عبد الملك . مُرْها تغنيك الصوت الثاني . فقال : فغنيني بشعر جميل :

ألاَ ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً بوادى القُرىَ إنى إذنْ لسعيدُ
إذا قلتُ : ما بى يا بُثينة قاتلى من الحبّ قالت : ثابتٌ ويزيد
وإن قلت:ردى بعض عقلى أعش به مع الناس قالت : ذاك منك بعيدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّها فيما يبيد يبيدُ
يموت الهوى منى إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعـود

فغنته الجارية فسقط الغلام مغشيًّا عليه ساعة ثم أفاق ، فقال له عبد الملك : مرها فلتغنك الصوت الثالث ، فقال : يا جارية ، غنيني بشعر قيس بن الملوّح المجنون :

وفى الجيرة الغادينَ من بطن وجرةٍ غزالٌ غضيضُ المقلتين ربيبُ [2]
فلا تحسبي أن الغريب الذى نأى ولكن من تنأيْنَ عنه غريبُ

فغنته الجارية فطرح الغلام نفسه من المستشرف فلم يصل إلى الأرض حتى تقطَّع ، فقال عبد الملك : وَيْحَه ، لقد عجَّل على نفسه ، ولقد كان تقديرى فيه غير الذى فعل . وأمر فأخرجت الجارية عن قصره ، ثم سأل عن الغلام فقالوا : غريب لا يعرف ، إلا أنه منذ ثلاث ينادى فى الأسواق ويده على رأسه :

غدً يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد دارى من دياركمُ بُعْدَا

---

(١) حسب النفس كافيها ، يعنى نفسه

(٢) وجرة موضع . وربيب من رب الولد رباه حتى أدرك .

وقد روى أن مثل هذا جرى فى مجلس سليمان بن عبد الملك ، فقال الجاحظ : إنه قعد يوما للمظالم ، وعرضت عليه القصص ، فمرّت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إلىّ فلانة - يعنى إحدى جواريه - حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل . فاغتاظ سليمان وأمر رسولا أن يخرج إليه فيأتيه برأسه ، ثم اتبع الرسول برسول آخر فأمر أن يدخل الرجل إليه فأدخل ، فلما مثل بين يديه قال له : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحلمك ، والاتّكال على عفوك . فأمره بالقعود حتى إذا لم يبق من بنى أميّة أحد ، فأخرجت إليه الجارية ومعها عود ، ثم قالت له : اختر . فقال: تغنينى بقول قيس بن الملوّح :

تعلّقَ روحى روحَها قبل خلقها ... ومن بعد ما كنّا نطافاً وفى المهد (١)
فعاش كما عشنا .فأصبح نامياً ... وليس وإن متنا بمنقضب العهد
ولكنّه باق على كل حادث ... وزائرُنا فى ظلمة القبر واللحد
يكاد فَضيضُ الماء يخدش جلدها ... إذا اغتسلتْ بالماء من رقة الجلد (٢)
وإنى لمشتاقٌ إلى ريح جيبها ... كما اشتاق إدريسٌ إلى جنة الخلد

فغنّت ، ثم قال : مُرِى لى برطل أشربه . فشربه ثم قال : تغنينى بقول جميل :

علقتُ الهوى منها وليدا فلم يزل ... إلى اليوم ينمى حبها ويزيدُ
وأفنيت عمرى بانتظار نوالها ... وقلت:بلاك الدهر وهْوَ جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً ... ولا حبُّها فيما يبيد يبيدُ
إذا قلت : ما بى يا بثَيْنة قاتلى ... من الحب قالتْ ثابت ويزيدُ
وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به ... مع الناس قالتْ:ذاك منك بعيدُ

فغنت ، فقال له سليمان : قل ما تريد . قال : فأمر لى برطل . فشربه

---

(١) نطافا جمع نطفة وهى ماء الرجل أو المرأة .

(٢) فضيض الماء ما انتشر منه عند الاغتسال به .

ثم قال : تغنيني بقول قيس بن ذَريح :

لقد كنت حسْبَ النفس لو دام ودُّنا ⁽¹⁾ ولكنها الدنيا متاع غرورِ
وكنا جميعا قبل أن يعْلَمَ الهوى بأحسن حالَيْ غبطة وسرورِ
فما برح الواشونَ حتى بدتْ لنا بطونُ الهوى مقلوبة بظهورِ

فغنت : فقال سليمان : قل ما تشاء . قال : فأمُرْ لى برطل . فما استتمه حتى وثب فصعد إلى أعلى القبَّة ، ثم زجَّ بنفسه على دماغه ، فقال سليمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أتُراه توهمَّ الجاهل أنى أخرج إليه جاريتى وأردها إلى ملكى ؟ يا غلام ، خذ بيدها فانطلق بها إلى أهله إن كان له أهل، وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه .

فلما انطلقوا بها نظرت إلى حظيرة فى دار سليمان قد أعدت المطر ، فجذبت يدها من أيديهم وأنشأت تقول :

من مات عشقا فليمتْ هكذا لا خير فى عشق بلا موتِ

فزَّجت بنفسها فى الحظيرة على دماغها فماتت .

وقد روى أن مثل هذا جرى فى مجلس الرشيد ، والله أعلم .

## ( فصـــل )

### فى ذكر سياق أبيات نستحسنه من شعره

أخبرنا أبو عمر بن سعد بن البدر العمرى ، أنا جدى إذنا ، أنا الصلاح ابن أبى عمر كذلك ، أنا الفخر بن البخارى ، أنا ابن الجَوْزى ، أنا ابن أبى منصور ، أنا المبارك بن عبد الجبار . أنا على بن المحسّن ، أنا ابن حَيُّوَيْه ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى سليمان بن أيوب المدينى ، قال : سمعت مصعبا الزبيرى يقول :

كان مجنون بنى عامر يسيح مع الوحش وينثر الشعر نثرا ، فكان الركبان يتلقون الشعر منه فيروونه . وقال القحذمى : لما قال المجنون .

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلاَّ بشىء غير ليلى ابتلانيا ⁽²⁾

---

(١) حسب النفس : كافيها كما سبق (٢) هلا أداة تحضيص لا تليق به تعالى

سلب عقله . وقال ابن الجوزى : ذهب بصره . وذكر الغزالى أنه سمع قائلا يقول : أين المتعرض لأحكامنا ، المتسخط لقضائنا ؟ فسلب عقله .

قال شيخنا . وقرىء على النظام بن مفلح وأنا أسمع ، وأنا غيره إجازة، قالوا : أنا ابن المحب ، أنا الحافظ المزى ، أنا ابن البخارى ، أنا ابن طبرزد، أنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى، أنا أبو الحسين بن المهتدى بالله ، أنا أبو الفضل بن المأمون ، أنا أبو بكر بن الأنبارى ، قال : أنشدنا أبى ، أنشدنا أحمد بن عبيد بن ناصح عن أبى عمرو لقيس بن الملوّح :

حلفت لها بالمشْرَفيْنِ وزمزمٍ ... وللهُ فوقَ الخافقَين رقيبُ [1]
لئن كان بردُ الماء حرّانَ صادياً ... إلىَّ حبيبا إنها لحبيب [2]

قوله — بالمشرفين — هو بالفاء الموحّدة تثنية مشرف ، وهو المكان الذى يشرف منه ، وروى — بالمشرقين — بالقاف ، ولله . بالرفع ، والرقيب هو الله ، ويطلق على الحافظ والمقتص والحارس ، وحران صاديا حالان من الظمآن [3] وروى — ظمآن صاديا — وروى . هيمان صاديا .

وقال شيخنا : وأنا أبو العباس بن الشريفة إذنا ، أنا أبو حفص بن البالسى كذلك ، أنا أبو الحجاج المزى ، أنا ابن البخارى ، أنا ابن الجوزى إذنا ، قال : قال ابن خلف : أنشد مصعب الزبيرى للمجنون .

ألا أيها القلبُ الذى لجَّ هائماً ... وليدا بليلى لم تقطّعْ تمائمُهْ [4]
أفقْ قد أفاق الواجدون وقد أنىَ ... لدائك أن يلقى طبيبا يلائمُهْ [5]

---

(١) فى رواية : وذو العرش فوق المقسمينَ رقيب . كما روى المشعرين أى المزدلفة ومنى ، ومشاعر الحج مناسكه ، والخافقان المشرق والمغرب .

(٢) حران صاديا حالان مقدمان من ضمير إلى .

(٣) فى هذا تساهل لأنه ليس فى البيت ذكر للظمآن.

(٤) التمائم ما يعلق على الصبي لحفظه من العين ونحوها فى زعمهم .

(٥) الواجدون العاشقون .

ومالك مسلوبَ العـــزاء كأنما ترى نأى ليلى مُغْرما أنت غارمُهْ
أجِدَّكَ لا تنسيك ليلى ملمّةٌ تلم ولا ينسيك عهدا تقادمُهْ[1]

الهائم الذى قد هام من حب أو غيره ، والوليد الطفل الصغير ، سمى بذلك لقربه من الولادة ، والتمائم خرزات ونحوها تعلّق على الطفل ، وقد أنى : أى قدحان ، ومنه قوله عزّ وجلّ ( ألمْ يأنِ للذين آمنوا ) والداء المرض ، والطبيب من يعلم الطب ، وهو علاج الأمراض ، والملائم الموافق والعزاء الصبر ، والنأى البعد ، والمغرم ما يغرمه الآدمى من نفس أو مال ، وأجدك : بفتح الهمزة وكسر الجيم وتشديد الدال ضد الهزل ، والملمة : ما يلم بالإنسان من حوادث الدهر .

وقال شيخنا : وأخبرتنا فاطمة ابنة الحوسكانى إجازة ، أنا عبد الله بن خليل الحوسكانى كذلك ، عن أبى محمد بن المحب ، أنا ابن البخارى وابن أبى عمر كلاهما عن ابن الجوْزى ، قال : قال ابن خلف : أنشد أبو عمرو الشيبانى للمجنون :

دعاك الهوى والشوقُ حين ترنّحتْ هَتوفُ الضحى بين الغصون طروبُ[2]
تجاوبُ وُرْقاً قد أرعَنَّ لصوتها فكلٌّ لكلٍّ مسعدٌ ومجيبُ[3]
ألا يا حمامَ الأيكِ مالك باكياً أفارقتَ إلفاً أم جفاك حبيبُ

قوله — ترنمت — المترنم المستلذّ بصوته ، والهتوف جمع هاتف[4] لعله أراد بها الأطيار ، والورق نوع من الحمام الواحدة ورقاء ، والأيك مكان ، والإلف ما يألف الشخص إليه .

قال شيخنا : وأنا جماعة من شيوخنا منهم ابن جوارش ، قالوا : أنا

---

(١) أجدك : أجدا منك ، وفى رواية : وجدتك .
(٢) هتوف الضحى حمامة ترنم فيه .
(٣) فى رواية أصخن بدل أرعن .
(٤) عندى أنه بفتح الهاء صيغة مبالغة كطروب بعده .

ابن المحب ، أنا ابن المطعم ، أخبرتنا كريمة بنت عبد الوهاب ، أنا ابن ناقة أنا أبو الغنائم الزينبي ، أنا أبو القاسم التنوخي ، أنا أبو عمر بن حَيَّوَيْه ، أنا أبو بكر بن المرزبان ، أنا محمد بن خلف ، ثنا عبد الله بن مسلم ، قال : كان الأصمعي يقول : لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري ، وهو أشعر الناس ، على أنهم قد نحلوه شعرا كثيرا رقيقا ، مثل قول أبي صخر الهذلي :

أَمَا والذي أبكى وأضحك والذي أَمات وأحيا والذي أمره أمرُ[1]
لقد تركتني أحسدالوحش إن أرى أليفين منها لا يروِّعهما الزجر
فيا حبَّها زدني جَوى كلَّ ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ
ويا هجر ليلى قد بلغت بيَ المدَى وزدت على ما لم يكن صنع الهجرُ
عجبتُ لسعى الدهر بيني وبينها فلمَّا انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

وبه إلى ابن خلف : حدثني إسحاق بن محمد بن أبان ، حدثني على بن سهل ، عن أبي الحسن المدائني قال — وذكر مجنون بني عامر عنده — فقال لم يكن مجنونا ، وإنما سمي المجنون بقوله :

وإنيَّ لمجنون بليلى موكَّل ولستُ عزوفا عن هواها ولا جلدْا[2]
إذا ذكرتْ ليلى بكيتُ صبابةً لتذكارها حتى يبلَّ البكا الخدْا

وبه إلى ابن خلف : أنشد ابن الأعرابي للمجنون :

دعوت إلهي دعوةً ما جهلتها وربي بما تخفي النفوس بصيرُ
لئن كان يُهْدِى بَرْدَ أنيابها العُلا لأفقرَ منيّ إنني لفقيرُ
وماأكثر الأخبارَ أنْ قد تزوجتْ فهل يأتينِّي بالطلاق بشيرُ[3]

وبه إلى ابن خلف : أنشدني أبو عبد الله السدوسي ، أنشدني أبوحكيم

---

(١) أى أمره حتم نافذ .
(٢) عزوفا زاهدا .
(٣) فى رواية فقد شاعت الأخبار .

السجستاني للمجنون :

ألا ما لليلى لا تُرَى عند مضجعى بليل ولا يجرى بها لك طائرُ[١]
بلى إنْ عُجْمَ الطير تجرى إذا جرت بليلى ولكنْ ليس للطير زاجر[٢]
أزالتْ عن العهد الذى كان بيننا بذى البذل أم قد غيَّبتها المقادرُ[٣]
فوالله ما فى القرب لى منك راحة ولا البعد يسلينى ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأيَّةِ حيلة وأى مرام أو خطار أخاطر
ووالله إنَّ الدهر فى ذات بيننا على لها فى كل حال لجائر
فلو كنت إذْ أزمعتِ صرمى تركتنى جميعَ السَّدَى والعقل منى وافرُ[٤]

وبه إلى ابن خلف : حدثنى أبو عبد الله التميمى ، حدثنى سعد بن المنجى عن رجل من عبد القيس ، حدثنى أبى عن نوفل بن مساحق أنه قال : وليت صدقات كعب بن ربيعة ، فقلت لرجل من بنى عامر : أحب أن أرى قيس ابن معاذ وأسمع منه . فقال لى : إذا أردت أن تستخرج ما عنده فعرض له بشعر رقيق من أشعار العشاق . قال : فطلبته فأصبته يوما فى ظل أراكة يحدث نفسه ، قال : فقربت منه وكأنى لا أريده ، وأنشدت قول قيس ابن ذَريح :

ألا يا غرابَ البين وَيْحَكَ نبِّنى بعلمك فى لُبْنَى وأنت خبيرُ[٥]
فإن أنت لم تخبر بشىء علمتَهُ فلا طرتَ إلا والجناح كسيرُ

---

(١) فى رواية : ولا يجرى بذلك .

(٢) عجم الطير من إضافة الصفة إلى الموصوف جمع أعجم وهو الذى لا ينطق ، وكانوا يتفاءلون بها ويتشاءمون .

(٣) فى رواية : بذى الأثل وهو موضع ، وروى المقابر بدل المقادر .

(٤) صرمى قطيعتى وفى رواية هجرى ، وروى من سدى الثوب تسدية أقام سداه ، وفى رواية : جميع القوى أى مجتمعها .

(٥) نبنى مخفف نبئنى .

ودرتَ بأعــداء حبيبُكَ فيهمْ كما قــــد تراني بالحبيب أدورُ

قال : فتهيج وقال : أنا والله أشعر منه، وأنا الذى أقول :

ألا ياغراب البين لونُكَ شاحبٌ وأنت بلوعات الفراقِ جــديرُ
فبَيِّنْ لنا ما قلتَ إذْ أنت واقعٌ وبين لنا ما قلت حين تطــيرُ
فإن يَكُ حقًّا ما تقول فأصبحتْ همومُكَ شتىً والجناح كسيرُ
ولا زلتَ مطرودا عديما لناصرٍ كما ليس لى من ظالمىَ نصــيرُ

قال : قلت : قاتل الله قيسا حيث يقول :

فما أنا إن بانتْ لُبَينى بهاجعٍ إذا ما اطمأنَّتْ بالرجال المضاجعُ
وكيف ينام المرءُ مستشعِرَ الجوى تعاودُهُ منهــا بكأس روادعُ

فقال : أنا أشعر منه ، أنا الذى أقول :

وما بتُّ إلا خاصمَ البينَ حبَّها مَكينانِ من قلبٍ مطيعٍ وسامِعِ[1]
تباركَ ربىَّ كم لليلى إذا انتحتْ بها النفسُ عندى من خصيمٍ وشافِعِ

قال . قلت . قاتل الله قيسا حيث يقول :

ألاَ ليت أياماً مضينَ تعــودُ فإن عُــدْنَ لبنى إننى لسعيدُ
فلا اليأسُ يسليني ولاالقربُ نافعى كما هشَّ للثَّدىِ الدرورِ وليدُ[2]
وترجع لى روحُ الحياةِ وإننى بنفسىَ لو عاينتها لأجــودُ

قال[3] : قلت : قاتل الله قيسا حين يقول :

---

(١) حبها منصوب على نزع الخافض أى فى حبها ، والسامع الأذن .
(٢) لا يخفى بعد مابين العجز والصدر، وإنما هذا عجز قوله قبل :
فإن ذكرت لبنى هششت لذكرها كما هش للثدى الدرور وليد
ثم قال .
فلا اليأس يسليني ولا القرب نافعى ولبنى منوع ماتكاد تجود
(٣) سقط هنا ما يقابل أبيات ابن ذريح من أبيات المجنون ، ولعلها إحدى دالياته القصيرة

أريد سلوًّا عن لُبينى وذكرها فيأبى فؤادى المستهامُ المتيَّمُ
صحا كُلُّ ذى ودٍّ علمتُ مكانهُ سواىَ فإنى ذاهب العقل مغرمُ
إذا قلت أسلوها تعرَّض ذكرُها وعاودنى من ذاك ما الله أعلمُ

قال : أنا والله أشعر منه ، أنا الذى أقول :

فإنْ تك ليلى العامريَّةُ أصبحتْ على النأىِ منى ذنبَ غيرى تنقمُ (١)
فما ذاك من ذنب أكون اجترمتهُ إليها فتجزينى به حيث أعلمُ
ولكنَّ إنساناً إذا مَلَّ صاحباً وحاول صرما لم يزل يتجرَّمُ (٢)

قال : قلت : قاتل الله قيسا حين يقول :

وإنى لأهوى النومَ فى غير حينه لعلَّ لقاءً فى المنام يكونُ
تحدثنى الأحلامُ أنى أراكمُ فياليت أحلامَ المنام يقين
شهدتُ بأنى لم أخنك مودَّتى وأنى بكم لو تعلمين ضنينُ
وأن فؤادى لا يلين إلى هَوًى سواكِ وإن قالوا له ستلينُ (٣)

قال : أنا أشعر منه : أنا الذى أقول :

مضى زمنٌ والناسُ لا يأمنوننى وإنى على ليلى الغداةَ أمينُ
يسمونى المجنونَ حين يَرَوْننى نعم بىَ من ليلى الغداةَ جنونُ

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن أبى عمر ، أنا أبو الفرج بن فريح ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنا ابن الجوْزى ، قال : قال أبو محمد الجوهرى : أنا ابن حَيَّوَيْه ، ثنا محمد بن خلف ، حدثنى عبد الملك بن محمد الرَّقاشى ، ثنا عبد الله بن المعذل ، قال . سمعت الأصمعى يقول — وذكر مجنون بنى عامر — فقال : هو قيس بن معاذ ، لم يكن مجنونا ، إنما كانت به لوثة ، وهو القائل :

---

(١) أى تنقمه على .

(٢) صرما هجرا ، ويتجرم يتجنى عليه

(٣) هوى مصدر بمعنى اسم المفعول أى مهوى ، وسواك نعت له

ولم أرَ ليـلى بعد موقف ساعة    بخَيْـف منىً ترمى جمارَ المحصب [1]
ويبدى الحصى منها إذا قذفتْ بهَ    من البُرْدِ أطرافَ البنان المخضّبِ

قوله — بخيف منى — هو المكان المرتفع فى جنب الوادى ، والبرد ثوب ، والبنان أطراف الأصابع .

ومن أحاسن مارأيت له قوله :

تزوّدتُ من ليلى بتكليم ساعةٍ    فما زاد إلا ضعفَ ما بى كلامُهَا

ومما وجدته بخط ابن السلامية لمجنون بنى عامر :

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى    كما يتداوى شارب الخمـر بالخمرِ
ألا زعمتْ ليلى بأنْ لا أحبُّها    بلى والليالى العشر والشفع والوترِ
إذا ذكرتْ يرتاح قلبى لذكرها    كما انتفض العصفور بلّله القطرُ [2]

وفى ديوان شعره :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفْ من منى    فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى [3]
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنّما    أطار بليلى طائراً كان فى صدرى [4]
ينادى سواها أسخن الله عينَه    وليلى بأرض عنه نازحة قفرِ
أقول لها يوما وقد شط بى النّوى    متى الملتقى قالت: قريبٌ منَ الحشرِ
حلفت لها بالله ما بين ذى الحشا    سواها حبيبٌ من عَوان ومن بكرِ [5]
جعلنا علامات المـودّة بيننا    مصائدَ لحظ هنّ أخفى من السحرِ
فأعرف منها الودَّ من لين طرفها    وأعرف منها الهجر بالنظر الشذرِ [6]

---

(١) المحصب موضع رمى الجمار بمنى ، وفى رواية غير موقف

(٢) بالرفع على أن فيه إقواء . وقد رواه الأستاذ عبدالستار فراج: بلل من قطر

(٣) الخيف كل هبوط وارتقاء فى سفح الجبل .

(٤) غيرها حال ومضاف إليه لانعت لأنه لايتعرف بالإضافة .

(٥) ذى الحشا: ذى اسم إشارة: والحشا بدل .

(٦) هو نظر الغضب ، يقال تشذر توعد وتغضب .

إذا عبتها شبهتها البدرَ طالعا وحسبُك من عيب يشبه بالبدرِ
هي البدر حسنا والنساء كواكب فشتانَ ما بين الكواكب والبدرِ
إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها كما انتفض العصفور بلله القطرُ(١)
تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمرِ
وتزعم ليلى أنني لا أحبها بلى والليالي العشر والشفع والوترِ
بلى والذي أرسى بمكة بيتَهُ بلى والمثاني والطواسين والحجر(٢)
بلى والذي ناجى من الطور عبدَه وشرّف أيامَ الذبائح والنحرِ
بلى والذي نجّى من الجب يوسفاً وأرسل داوداً وأوحى إلى الخضرِ
بلى والذي لا يعلم الغيب غيرُهُ بقدرته تجرى المراكب في البحرِ
سأصبر حتى يعلم الناس أنني على نائبات الدهر أقوى من الصخرِ
سلامٌ على من لا أملُّ حديثَها ولو عاشرتها النفس عشرا إلى عشرِ
عزائي وصبري أسعداني على الأسى فأحمدُ ما جرّبتُ عاقبةُ الصبرِ
ولي كلَّ يوم غشيةٌ من صدودها أبيت على جمر وأضحى على جمرِ
عليها سلام الله ما طار طائر وماسارت الركبانُ في البرّ والبحرِ(٣)

وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الصالحي ، قال : قرىء على النظام ابن مفلح وأنا أسمع ، أخبركم(٤) ابن المحب ، أنا المزّي ، أنا ابن البخاري ، أنا ابن طبرزد ، أنا القاضي أبو بكر الأنصاري ، أنا أبو الحسين بن المهتدي بالله ، أنا أبو الفضل بن المأمون ، أنا أبو بكر بن الأنباري ، عن الشيباني ، لقيس ابن الملوّح .

ذُدِ الدمعَ حتى يظعن الحيُّ إنما دموعكَ إن نمّتْ عليك دليلُ(٥)

---

(١) سبق الكلام قريبا في قوله : بلله القطر .

(٢) جاء في القاموس : طس لا تجمع إلا على ذوات طس ولا تقل طواسين ، والحجر السورة الخامسة عشرة .

(٣) في بعض أبيات هذه القصيدة أبيات مبتذلة وهي من الشعر المنحول .

(٤) الظاهر : أخبرنا

(٥) في رواية : إن فاضت عليك دليل .

كأنَّ دموع العين لمَّا تحمَّلوا　　جُمانٌ على جيب القميص يسيل

قوله — ذد الدمع — أى كُفَّه وردَّه، وفى الحديث « لأذودن رجالا عن حوضى » وحتى يظعن الحى : أى حتى يسير الحى ولا تبك قبل مسيرهم فيستدلوا بدمعك على حبك فيهم ، والجمان اللؤلؤ ، والجيب القطع ، ومنه — جاب الفلاة — أى قطعها : وسمى طوق الإنسان جيبا لأنه يقطع لموضع رقبته ، أى كأن دموعه تنحدر على طوقه كاللؤلؤ .

وأورد له فى المرقص والمطرب :

وقد خبَّرونى أن تَيْماء منزلٌ　　لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا[1]

فهذى شهور الصيف عنَّا ستنقضى　　فما للنوَى يرمى بليلى المراميا[2]

أعد الليالى ليلةً بعد ليلة　　وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلَّنى　　أحدّث عنك النفس بالليل خاليا[3]

ألا أيها الركبُ اليمانونَ عرّجوا　　علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

يميناً إذا كانت يميناً فإن تكن　　شمالاً ينازعنى الهوى عن شماليا

أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها　　أثنتين صلَّينا الضحى أم ثمانيا[4]

وما بىَ إشراكٌ ولكنَّ حبَّها　　كعود الشَّجى أعيا الطبيب المداويا[5]

خليلىَّ لا والله ما أملك الذى　　قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها　　فهلاَّ بشىء غير ليلى ابتلانيا

ولو أن واشٍ بالمدينة دارُه　　ودارى بأعلى حضرموْتَ اهتدى ليا[6]

---

(١) فى رواية . وخبرتمانى .

(٢) فى رواية : قد انقضت بدل ستنقضى .

(٣) فى رواية : يا ليل منادى مرخم أى باليلى بدل بالليل

(٤) فى رواية : صليت .

(٥) الشجى ما اعترض فى الحلق من عظم وغيره ، وفى رواية : كعظم الشجى ، وفى رواية : وعظم الجوى بضم العين .

(٦) فى رواية ولو كان واش باليمامة هى أصح .

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم ... من الحظ فى تصريم ليلى حباليا[1]
وددتُ على حبّ الحياة لَوَ انّهُ ... يزاد لها فى عمرها من حياتيا
على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى ... فأخلصَ منه لا علىَّ ولا ليا
إذا ماشكوتُ الحبَّ قالتْ: كذبتنى ... فما لى أرى منك العظامَ كواسيا
فلا حبّ حتى يلصق الجلد بالحشا ... وتصمتَ حتى لا تجيب المناديا

ومما وجدت بخط ابن شيخ السلامية، قال أنشد بعض الأدباء للمجنون:

أرانى إذا صليتُ يمّمت نحوها ... أمامى وإن كان المصلىَّ ورائيا
وما بىَ إشراكٌ ولكنَّ حبَّها ... مكان الشجى أعيا الطبيبَ المداويا
أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها ... أثنتين صلَّيت الضحى أم ثمانيا
وما جئتها أبغى شفاىَ بنظرةٍ ... فأبصرتها إلا تضاعف ما بيا

وله أيضاً:

فيارب سَوّ الحبَّ بينى وبينها ... كفافاً ولا تُرْبِحْ لليلى ولا ليا[2]
وإلاَّ فبغّضها إلىَّ وأهلَهَا ... تكن نعمةً ذا العرش أهديتها ليا[3]

وأخبرنا شيخنا هذا، قال: قرىء على النظام بن مفلح وأنا أسمع، أخبرنا الحافظ أبو بكر بن المحب، أنا الحافظ أبو الحجاج المقرىء، أنا أبو الحسن بن البخارى، أنا أبو حفص بن طبرزد، أنا القاضى أبو بكر الأنصارى أنا أبو الحسين بن المهتدى بالله، أنا أبو الفضل بن المأمون، أنا أبو بكر ابن الأنبارى، أنشدنى محمد بن المرزبان لقيس بن الملوّح:

أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها ... اثنتين صلَّيت الضحى أم ثمانيا
أرانى إذا صليت يممت نحوها ... بوجهى وإن كان المصلىّ ورائيا
وما بىَ إشراك ولكن حبها ... كعود الشجى أعيا الطبيب المداويا

قال ابن المحب: وأنا المطعم، أخبرتنا كريمة، أنا ابن ناقة، انا الزينبى،

---

(١) تصريم تقطع يعنى قطعها حبال وده.
(٢) كفافا: بقدر ما يكفيه لا يزيد ولا ينقص.
(٣) ذا العرش: منادى أى ياذا العرش.

انا التنوخى ، انا ابن حَيَّوَيْه ، انا ابن المرزبان ، أنشدنا أبو عمرو الشيبانى للمجنون :

لئنْ ظعن الأحبابُ يا أمّ مالكٍ ... لمَا ظعن الحبُّ الذى فى فؤاديَا
ألاَ ليتنا كنَّا جميعا وكان بىَ ... من الداء ما لا يعلم الناس ما بيَا
فيارب إذْ صيرّت ليلى هى المنى ... فـزنىّ بعينيها كما زنتها ليَا
وإلا فسوّ الحبَّ بينى وبينها ... يكون كفافا لا علىّ ولا ليَا
وإلا فبغّضها إلىَّ وحبّها ... فإنى بليلى قد لقيت الدواهيَا
ألاَ لا أحبُّ السير إلا مصاعداً ... ولا البرقَ إلا أن يكون يمانيَا(١)
على مثل ليلى يقتل المرءُ نفسهُ ... وإن كنت من ليلى على اليأس طاويَا

وأنشد بعضهم للمجنون :

يقولون : ليلى بالعراق مريضةٌ ... فياليتنى كنت الطبيب المداويَا(٢)
يقولون : ليلى سودةٌ حبشيةٌ ... ولولا سواد المسك ما كان غاليَا(٣)
ومن أجلها عاديت كلَّ صواحبى ... وأحببت من لا يشتهى أن يرانيَا
معذبتى لولاكِ ماكنت هائماً ... أدور على الأطلال فى البيد جاريَا
فلو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا ... أصمَّ فنادتنى أجبت المناديَا

وله أيضاً :

فإن تمنعوا ليلى وحسنَ حديثها ... فلن تمنعوا منى البكا والقوافيَا
فهلاَّ منعتم إذ منعتم حديثها ... خيالاً يوافينى على النأى هاديَا

---

(١) إلا مصاعدا أى نحو نجد لارتفاع أرضها ، وإنما أحبه لأن بها منزل ليلى.

(٢) روى هذا البيت — يقولون ليلى بالصفاح مريضة — وهو الصحيح لأن ليلى لم تطأ أرض العراق، وإنما أخذت من نجد إلى الطائف بعد زواجها ، وهو بكسر الصاد جبال تتاخم نعمان ، ونعمان واد كانت به منازل ليلى .

(٣) سودة واحدة السود وهو سفح من الارض مستو كثير الحجارة السود، والبيت مبتذل ولعله من الشعر المنحول ، وكذلك ما بعده من الأبيات .

وله أيضاً :

وقد كنت أعلو الحبَّ حيناً فلم يزلْ ... بىَ النقض والإبرامُ حتى علانيا
ولم أر مثليْـنا خليليْن جنايةً ... أشدَّ على رغم العدو تصافيا[1]
خليلين لا نرجو لقاءً ولا نرى ... خليلين إلا يرجوان التلاقيا
فيا أهل ليلى كثَّر الله فيكمُ ... مِنَ امثالها حتى تجودوا بها ليا
فما مس جنبى الأرض إلا ذكرتها ... وإلا وجدت ريحها فى ثيابيا

قال ابن المحب : وأخبرنا محمد بن عبد الحافظ ، أنا ابن أبى عمر ، أنا داود بن ملاعب ، أنا أبو الكرم الشهرزورى ، أنا أبو الحسين بن النقور إذنا ، أنا أبو الحسن أحمد بن الصَّلْت ، أنا أبو بكر بن الأنبارى ، أنشدنى أبى لقيس بن الملوّح :

ألا أيُّها الواشى بليلى ألا ترى ... إلى من تشى أولى بمن جئت واشيا[2]
لعَمْر الذى لم يرضَ حتى أطيعَهُ ... بهجرانها لا يصبح الدهرَ راضيا
دعانى أمتْ يا عاذلىَّ بدائيا ... ولا تلحيانى لا أحب اللواحيا[3]
عزمت على قلبى عزيمةَ صادق ... بطاعة ليلى مستطاراً وصاحيا[4]
إذا نحن رمنا هجرها ضَمَّ حبها ... صميمُ الحشا ضَمَّ الجناحِ الخوافيا

كذا هو فى كلام ابن الأنبارى — ضم — بضاد معجمة ، ورويناه فى غير هذا الموضع بالمهملة[5] والله أعلم .

وله أيضاً ، وهى المؤنسة :

سقى الله جاراتٍ لليلى تباعدت ... بهنَّ النوى حيث احتللنَ المطاليا[6]

---

(١) فى رواية : خليلى صبابة ، ولا معنى لجناية هنا . ولعلها جناية فى زعم عدوهما
(٢) فى رواية : إلى من تشيها أو بمن جئت واشيا .
(٣) ولا تلحيانى لا تلومانى ، واللواحيا جمع لاح والألف للإطلاق .
(٤) مستطارا طائر العقل .
(٥) أى صم حبها بمعنى صم عليه .
(٦) المطالى المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها أى أولادها .

بثَمدَيْنِ لاحتْ نارُ ليلى وصحبتى  بقزْعِ الغضا تزجى المطىَّ الحوافيا[١]
فقال بصير القوم: لمحةُ كوكبٍ  بدا فى سوادِ الليل فرداً يمانيا
فقلت لهم: بل نارُ ليلى توقَّدتْ  بعليا تسامىَ ضوؤها فبدا ليا[٢]
بلى نار ليلى يا خليلىَّ فارسما الـ  قلائص لا تأوُوا لهن ولا ليا[٣]
أشوقاً ولمَّا يمض لى غير ليلة  رُوَيدًا الهوى حتى يغبَّ لياليا[٤]
خليلىَّ لا والله ما أملك البكا  إذا عَلَم من أرض ليلى بدا ليا
خليلىَّ لا والله لا أملك الذى  قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها  فهلاَّ بشىء غير ليلى ابتلانيا
وخبرَّ تمانى أن تَيْماءَ منزلٌ  لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا[٥]
فهذى شهورُ الصيف أمست قد انقضتْ
فما للنَّوى ترمى بليلى المراميا[٦]
فلو كان واشٍ بالمدينة دارُهُ  ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا[٧]
وماذا لهم لا أحسن الله حظَّهم  من الحظ فى تصريم ليلى حباليا[٨]
وقد كنت أعلو حبَّ ليلى فلم يزل  بىَ النقض والإبرام حتى علانيا[٩]

---

(١) ثمدين فى الأصل تثنية ثمد وهو الماء القليل لامادة له أو ما يظهر فى الشتاء. يريد به موضعا. وروى — بذات الغضا تزجى المطى النواجيا — أى المسرعات.

(٢) بعليا بمكان عال وتسامى تعالى.

(٣) فارسما القلائص: اجعلاها تسير سيرا شديدا. لا تأووا لهن: لا ترثوا لهن

(٤) غب يغب جاء زائرا بعد أيام.

(٥) تيماء بلد.

(٦) فى رواية: عنا بدل أمست.

(٧) فى رواية فلو أن واش باليمامة، وما هنا أصح.

(٨) فى تصريم ليلى حباليا: قطعها حبال وده.

(٩) يعنى نقض عهد الود وإبرامه وعدم ثبوته على حال

فيارب سوِّ الحبَّ بينى وبينها يكون كفافاً لا علىَّ ولا ليَا[١]
فما طلع النجم الذى يهتدَى به ولا الصبح إلا هيَّجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا سُهَيل لأهل الشام إلا بدا ليَا
ولا سُميتْ عندى لها من سَميةٍ من الناس إلا بلَّ دمعى ردائيا
ولا هبّت الريحُ الجنوبُ من ارضها من الليل إلا بتُّ للريح حانيَا[٢]
ويوم كظلِّ الرمح قصَّرت طولَهُ بليلى فلهّانى وما كنت لاهيا
فيا ليلَ كم من حاجة لى مهمَّة إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيَا
خليلىَّ إنْ لا تبكيا لىَ ألتمسْ خليلا إذا أنزفت دمعا بكى ليَا[٣]
فقد يجمع الله الشَّتيتين بعدَما يظنَّان كلَّ الظنْ أنْ لا تلاقيَا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادَها علىَّ فلن تحموا علىَّ القوافيَا[٤]
فأشهد عند الله أنى أحبُّها فهذا لها عندى فما عندها ليَا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق منَّا والعناء قضى ليَا[٥]
وإن الذى أمَّلت من أمّ مالك أشاب قذالى واستهام فؤاديَا[٦]
أعدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةً لقد عشت دهرا لا أعد اللياليَا[٧]
وأخرج من بين البيوت لعلَّنى أحدّث عنك النفسَ بالليل خاليَا
إذا سرت أرضا بالقِفَار رأيتنى أصانع رحلى أن يميل حيَالِيَا[٨]

---

(١) كفافا قدر الحاجة لا يزيد أحدنا فيه عن الآخر ولا ينقص .
(٢) فى رواية :لأرضها .
(٣) أنزفت دمعا :استخرجته كله حتى نفد .
(٤) القوافى الأشعار التى يقولها فيها والألف للإطلاق .
(٥) فى رواية:والغرام بدل العناء .
(٦) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
(٧) لغفلته عنها بقربه من ليلى
(٨) فى رواية:إذا سرت فى الأرض الفضاء ، وحيال الشىء قبالته وإزاءه .

يمينا إذا كانت يمينا وإن تكن ... شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أراني إذا صلّيت يمّمت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلْى ورائيا
وما بيَ إشراكٌ ولكنّ حبّها ... كعظمِ الشجا أعيا الطبيب المداويا[1]
أحب من الأسماء ما وافق اسمَها ... أوَ اشبهه أو كان منه مدانيا
خليليّ ليلى أكبر الحاجِ والمنى ... فمن لي بليلى أو فمن ذالها بيا
فقد طالما ألبتني عن صحابتي ... وعن حوَجٍ قضاؤها من شفائيا[2]
لعمري لقد أبكيتني يا حمامة الـ ... عقيق وأبكيتِ العيونَ البواكيا[3]
وكنتُ ربيط الجأش ما تستفزّني ... رياحُ الصبا لو نحت نوحا مدانياً
فأصبحت بعد الإنس صاحبَ جنّة ... تجاوْرنَ في عرض النقا والفيافيا[4]
خليليّ ما أرجو من العيش بعدما ... أرى حاجتي تَشترْى ولا تشترى ليا[5]
وتجرم ليلى ثم تزعم أنّني ... سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم أر مثلينا خليلَيْ جناية ... أشدّ على رغم العدو تصافيا[6]
خليلان لا نرجو لقاءً ولا نرى ... خليلين إلاّ يرجوان التلاقيا
وإني لأستحييك أن أعرض المنى ... بوصلك أوْ أنْ تعرضى في المنى ليا
يقول أناسٌ : عَلّ مجنونَ عامرٍ ... يروم سلوًّا قلت : أنّى لما بيا[7]
بيَ اليأسُ أوداءُ الهُيام أصابني ... فإياك عني لا يكنْ بك ما بيا[8]

---

(١) الشجا ما اعترض الحلق من عظم وغيره فإضافته بيانية . وانظر ص٦٦

(٢) حوج جمع حاجة .

(٣) العقيق اسم مكان .

(٤) النقا والقطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

(٥) تشرى تباع .

(٦) في رواية خليلي صبابة ، ولكن قوله في البيت قبله — وتجرم ليلى — يرجح ما هنا .

(٧) عل لغة في لعل ، وأنى بمعنى كيف استفهام للاستبعاد .

(٨) الهيام الجنون من العشق .

إذا ما طواكِ الدهر يا أمَّ مالك ... فشأن المنايا القاضياتِ وشأنيا[1]
إذا اكتحلتْ عيني بعينك لم تزلْ ... بخير وجلَّتْ غمرةً عن فؤاديا
وأنتِ التي لو شئتِ أشقيتِ عيشتي ... وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التي ما من صديق ولا أخٍ ... يرى نضْوَ ما أبقيتِ إلا أوى ليا[2]
وإني لأستغشي وما بيَ نعسة ... لعلَّ خيالا منكِ يلقى خياليا
هي السحر إلا أن للسحر رُقْيةً ... وأنيَ لا ألفي لها الدهرَ راقيا[3]
إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامَنا ... كفى لمطايانا بذكركِ هاديا[4]
ذكتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصبحت ... لها وهج مستضرمٌ في فؤاديا
ألا أيها الركبُ اليمانونَ عرِّجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلْكمُ هل سالَ نَعمانُ بعدنا ... وحُبَّ إلينا بطنُ نعمانَ واديا[5]
ألا يا حمامَيْ بطن نعمانَ هجتما ... عليَّ الهوى لمَّا تغنَّيتما ليا
وأبكيتماني وسْطَ صحبي ولم أكن ... أبالي دموعَ العين لو كنت خاليا
ألا أيها القمريَّتان تجاوَبا ... بلحنيكما ثم اسجعا عَلَّلانيا[6]
فإن أنتما استطربتما أو أردتما ... لحاقاً بأطلال الفضا فاتبعا نيا
ألاَ ليت شعري ما لليلى وماليا ... ومالِلصِّبا من بعد شيب علانيا[7]
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى ... إلى من تشيها أو بمن جئت واشيا
إذا نحن رمنا هجرها ضَمَّ حبَّها ... صميمُ الحشا ضمَّ الجناحِ الخوافيا[8]

---

(١) في رواية: إذا ما استطال الدهر .
(٢) في رواية: ولا عدا بدل أخ ، وإلا رثى ليا بدل أوى ، والنضو الهزيل .
(٣) لا ألفي لا أجد .
(٤) أدلجنا سرنا في الليل .
(٥) سال نعمان جرى ماؤه .
(٦) عللاني عالجاني من علتي والألف للإطلاق .
(٧) الصبا الشوق .
(٨) سبق تعليق المؤلف على هذا البيت . في ص٦٩

لئن طعن الأحبابُ يا أمَّ مالك ... لمـَا ظعن الحب الذى فى فؤاديا
فيارب إذْ صيرّت ليلى هى المنى ... فزنى بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبغّضها إلىّ وأهلها ... فإنىّ بليلى قد لقيت الدواهيا
ألاَ لا أحب السير إلا مُصَاعداً ... ولا البرق إلا أن يكون يمانيا[١]
على مثل ليلى يقتل المرءُ نفسَهُ ... وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلىَّ إن ضنُّوا بليلى فقرّبا ... لىَ النعش والأكفانَ واستغفرا ليَا
ألاَ يا حمامَ الطلح إن كنت باكياً ... قم الآنَ فاهتجْ إنَّنى قد أنىَ ليَا[٢]
فيا أخوىْ حِرْم ألِمَّا هُدِيتما ... على حاضر الريَّان ثم اذكرا نيَا[٣]

قوله « المطاليا » الأماكن التى يسير فيها «وبثمدين» تثنية ثمد وهو مكان أيضا ، وفى الحديث ـ فنزلنا ثمدا[٤] ـ « والقزع » مابعضه فيه شىء وبعضه ليس فيه « والغضا » نوع من الشجر « والمطى » المطايا وهى الإبل « وبعليا » اسم لمكان أيضا « وتسامى » على وزن تحامى أى تعالى ، وروى : تسامى بضم التاء ، أى صار ضوؤها يسامى عليا ، و « فارسما » من الرسم وهو أن يجعل الواحد خلف الآخر « والقلائص » جمع قُلُص وقلوص ، و«ولا تأووا لهن » أى لا ترثوا لهن « ورويد » بمعنى مهلا « ويغب » أى يأتى يوما بعد يوم « وعلم » أحد الأعلام التى تعلمّ من قصب وغيره « وتيماء » بلدة من بلاد الحجاز « والمراسى » ما يرسى بها المركب ، ثم استعيرت فى كل ماأرسى غيره «والواشى» المفند والمثبط «وحضرموت» بلدة من بلاد اليمن«والنقض» بالضاد وروى النقص بالصاد المهملة « والإبرام » هو الرجوع فى الأمر على

---

(١) فى رواية مصعدا أى نحو نجد لارتفاعها وبها ديار ليلى .
(٢) الطلح شجر عظام أو موضع ، وأنى ليا: حان موتى .
(٣) حرم حرام يعنى أن حمامتى الطلح أخوا حمام المسجد الحرام ، وألما انزلا ، والريان جبل .
(٤) رواية اللسان : حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد .

العقب « والكفاف » هو أن يكون الأمر سواء « ودمشق » مدينة من مدن الشام «وسهيل» نجم يطلع فى الخريف « ولاسُميت» بالتخفيف أى سمّيت بالتشديد «ومن سمية » على وزن حيَّة » أى مسامية وهى من يشبه اسمُها اسمَها «والجنوب» نوع من أنواع الريح « ولى التمس » بكسر اللام وسكون الياء والوصل[1]« وأنزفت دمعا » أى أفرغت دمعى « والشتيتين » تثنية شتيت وهو من تشتّت أى تفرق ، والبيت من شواهد النحو « والعناء » بالنصب عطفا على المحل للمجرور قبله فإن محله النصب لأنه مفعول غير صريح[2] « والقذال » جماع مؤخر القفا « والفؤاد » القلب « لقد عشت» روى«قد» وباللیل خاليا » وروى بالسر خاليا ، وهو من الشواهد للعينى ، وروى عن شيخ الإسلام ابن تَيميَّة أنه كان يخرج إلى الصحراء ويتمثل بهذا البيت :

وأخرج من بين البيوت لعلّنى أحدّث عنكِ النفس بالليل خاليا

« والغضا » شجر « وأصانع رحلى » أى أصير له صانعا أعمل فيه «ويمينا» منصوب على تقدير أغيرّ أو أحطُّ «وينازعنى الهوى»روى هواى من غير ألف ولام « وكعظم الشجا » عظم الشىء أكثره[3] « والعقيق » واد بقرب المدينة « وربيط الجأش » أى ثقيل الأمر كثير العقل « وما تستفزنى » أى ماتحركنى « والجنة » الجنون[4] « وعرض النقا » مكان « والفيافى » البرارى « وعل مجنون عامر » من الشواهد على أن لعل يجوز فيه عَلَّ « واليأس » هو أن ييأس من حاجته « والهيام » أن يهيم بعشقه « وإلا أوى ليا » أى رثى لى « وذكت نار شوقى » أى زادت فى فؤادى ، وروى فى الفؤاد ، « والوهج »

---

(١) بل بفتح الياء وعدم الوصول

(٢) بل هو بالجر بالعطف على المجرور قبله .

(٣) هذا إنما يصح على رواية وعظم الشجى أو الجوى بضم العين ، أما رواية كعظم الشجى فهى بفتحها .

(٤) بل هى الجن بدليل ما قبلها .

شدة الاضطرام «ونعمان» جبل[1] «ويا حمامى» تثنية جنس لا تثنية فرد لأنه لو كان تثنية فرد لقال ـ ألا يا حمامتى ـ لأن المفرد حمامة مؤنث اللفظ فى المذكر والمؤنث «والقمريتان» تثنية قمرية نوع من الحمام «واللحن» الصوت «والسجع» المطرب من الألحان «والتعليل» أن يعلّل بصوته «والصبا» التصابى «وقد لقيت الدواهيا» وروى دواهيا «والمصاعد» السائر إلى جهة العلو «والطلح» ما لا شوك له من شجر السِّدر «وأنى ليا» أى حان «وحزم» بالزاى المعجمة وروى بالمهملة «وألما» بالتشديد من ألمّ به.

وقد ذكر بعضهم أنه لما حجّ هرب حتى أتى حىّ ليلى وأشرف على نيرانهم، وقال قصيدته هذه، وقال أبو الفرج بن الجَوْزى: وفيها أشياء فيها ركاكة ما أظنها له، ونحن نذكر ذلك وننبه على غالبه:

بثمدين لاحت نار ليلى وصحبتى ... بوادى الغضا تزجى القلاص اليمانيا
فقال بصير القوم: لمحة كوكب ... بدا فى سواد الليل فردا يمانيا
فقلت لهم: بل نار ليلى تأجَّجتْ ... بعليا فلاحت ضوؤها فبدا ليا

وهذا البيت مغيَّر، وهو كما قدمناه:

فليت ركاب القوم لم تقطع الغضا ... وليت الغضا ماشى الركابَ ليا ليا
ألا نسأل الركبانَ هل سُقِىَ الحمى ... نَدًى فَسَقَى الله الحمى وسقانيا
وأسأل من لاقيت عن أمّ مالك ... فهل يسألان الحىَّ عنْ كيفَ حاليا[2]
فإن الذى لاقيتُ يا أمّ مالك ... أشاب قذالى واستباح فؤاديا
وهذى شهور القيظ عنا تصرَّمتْ ... فما للنوى ترمى بليلى المراميا

---

(١) بل واد بدليل قوله: هل سال نعمان.

(٢) فى الأصل ـ فهل يسألان الحى عنى كيف حاليا ـ وفيه تحريف ظاهر. وما ذكرناه فوق تصحيح الأستاذ فراج. وأرى أن يبدل فيه عن بأن الزائدة أو المخففة. أو أن الأصل: فهل تسأل الحى عنى كيف حاليا ـ بجر عن لياء المتكلم وتخفيف النون.

لئن ظعن الأحباب يا أمَّ مالك ... فما ظعن الحب الذى فى فؤاديا
فودّعتهم عنـد النفرق ضاحكا ... إليها ولم أعلم بأنْ لا تلاقيـا
ولو كنت أدرى أنه آخر اللّقا ... بكيت فأبكيت الحبيب المو افيـا
فما طلع النجم الذى يهتـدَى به ... ولا الشمس إلا ظـلـلْتُ ولهانَ باكيا
وما أسفر الصبح المصدّق مشرقا ... ولا الفجر إلا هيّجا ذكرها ليا[1]
ولا ذكرتْ عندى لها من سميّـة ... من الناس إلا بَلّ دمعى ردائيا
وصرت إذا صليت يممّت نحوها ... بوجهى وإن كان المصلىّ ورائيا

وهذه الأبيات الأربعة فيهن تغيير بلفظ ركيك[2] .

أصلى ولا أدرى إذا ما ذكرتها ... ثمانين صليت الضحى أم ثمانيـا
وما بىَ إشراكٌ ولـكنّ حبّها ... مكان الشجا أعيا الطبيب المداويا

ثم ذكر هذه الأبيات فيها وما أظن أن كلها له ، وهى :

فيا عمّ ليلى مرحباً بك مرحباً ... وأهلا وسهلا قَدْرَ أبعدِ داريا
ويا عم ليـلى زادك الله رفعةً ... وعلّـى على العليا علوّك عاليـا
ويا عمِّ ليـلى كن رفيقا بمهجتى ... فقد طالما أبـدَوْا بليلى عناديا
ويا عم ليلى قرّب الله دارَهَـا ... وقربهـا الرحمن يا عمها ليـا
ويا عم ليـــلى إنّنى لو لقيتها ... تركت صيامى فى الهوى وصلاتيـا
ويا عم ليـــلى قد بُـليتُ بحبها ... وغاب صلاحى فى الهوى ورشاديا
ويا عم ليلى صرت فى الخلق شهرةً ... تُغنىَّ بشعرى فى الأنام الأغانيـا
ويا عم ليلى سوف أقضى بحسرتى ... إذا لم أنلْ من مُنْيتى بعض مابيـا[3]
ويا عم ليلى قل لها توص قومَهَـا ... بقـومىَ إن يطالبـوهم بثأريا
ويا عم ليلى هل ترى أمَّ مالك ... إذا جئت ليلى يمنعوها كلاميـا

---

(١) المصدق الصادق .

(٢) يعنى الأربعة من أول قوله : فما طلع النجم الخ. وكان عليه أن يبين ركاكتها

(٣) أقضى أموت .

وياعم ليلى هل ترى أن قومها ... إذا زرتها قد يمنعوها لقائيا[1]
وياعم ليلى إن ليلى هى المنى ... وحاشاك أن تُرضى بليلى الأعاديا
وياعم ليلى عذَّب الله مالكاً ... بحب الغوانى كىْ يذوقَ مذاقيا[2]
وياعم ليلى عمرٌ الله عامراً ... أخوها فقد أرعى بليلى ذماميا
وياعم ليلى كثَّر الله خيرَهُ ... كما لم يُطِلْ فى حب ليلى خصاميا
وياعم ليلى طارُ الحبُّ مهجتى ... فطاردتُ ليلى أو كبابى جواديا[3]
وياعم ليلى كافحتْ سَورةُ الأسى ... فؤادى ولم يغن عنىّ كفاحيا
وياعم ليلى من لقيسٍ وقد رَمىَ ... به مالكٌ إذ شذَّ منه انتقاميا
وياعم ليلى من لكم فى عجاجة ... سوى قَيَس يردى فى العجاج الأعاديا
وياعم ليلى لو يملُّ لذكرها ... لسانىَ لمَّا كنت فانى لسانيا
بنى عم ليلى كيف عيشى وقد نُفى ... لذيذُ رقادى بعدها واصطباريا
بنى عم ليلى لا وَقَى الله بعلَها ... حسامى ورمحى وابتلاه بلائيا
بنى عم ليلى يا كرامُ تصدَّقوا ... علىَّ بليل وارحموا سوء حاليا
بنى عم ليلى أمَّ عمرٍو مليكتى ... نعم وحياتى فى الهوى ومماتيا
بنى عم ليلى إن ليلى هى المنى ... نعم وصلاحى فى الهوى ورشاديا

وأظن أن هذه الأبيات كلها مكذوبة عليه ، فإنها ليست من نمط لفظه ، بل ولا ممن هو دونه من المولَّدين .

ثم قال :

أحبُّ من الأسماء ما وافق اسمَها ... أوَ اشبهه أو كان منه مدانيا
ألا ليت نفسى جلدةً عن وصالها ... كما نفس ليلى جلدةٌ عن وصاليا
أمضروبة ليلى على أن أزورَها ... ومتَّخَذٌ ذنبا عليها ترانيا[4]

---

(١) فى قوله ـ قد يمنعوها ـ خطأ نحوى ظاهر .
(٢) لعل مالكا قريب لها كان يمنعه منها .
(٣) أو كبابى جواديا : أى إلى أن كبابى .
(٤) لعل روايته : ومتخذ ذنبا لها أن ترانيا .

فيا واشتيْهالا تلوَما وأقصــــرا وكُفّا إذنْ عن ضربها وهوانيَا
وقد لامنى فى حب ليـلى أقاربى أخى وابن عمى وابن خالى وخاليَا
يقولون : ليلى أهلُ بيتِ عداوة فداها من المكروه أهلى وما ليا
هو الحب لا تخفى سوا كنُ وجده وكيف ويبدى الدمعُ ما كان خافيا
يقولون : ليـلى علجةٌ نَبَطيَّةٌ وقد حبَّبتْ ليــــلى إلىّ المواليَا
أحب الموالى إنْ سكنتِ ديارهم وما للموالى منكِ شىءٌ ولا ليَا
إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا كفى لمطايانا بوجهـك هاديَا
فياليتـكم لم تعرفـونى وليتنى تخلَّصت منكم لا علىَّ ولا ليَا
معذبتى لولاكِ ما جئت سائلاً أطوف على الأبواب بالليل عاريا
وقد كثر الصبيان حولى وجانبى وساروا جميعا والكلابَ ورائيَا
وقائـلة : وارحمتـا لشبابه فقلت لها : وارحمتـا لشبابيَا

وهذه الأبيات الثلاثة فيها ركاكة وما أظنها له ، ثم قال :

لئن ظعن الأحبابُ يا أمَّ مالكٍ لمَا ظعن الحب الذى فى فؤاديَا
فيا رب إن صيرّت ليلى ضجيعتى أطيل صيامى دائمـا وصلاتيَا
بنى عم ليلى لو شكوت بليَّتى إلى راهب فى ديره لرثى ليَا
فياربّ إن تجير بليـلى مصيبتى تكن نعمةٌ يارب قد جئتها ليَا
وإلا فساو الحبَّ بينى وبينها فيبقى كفافاً لا عـلىَّ ولا ليَا
وإلاّ فبغّضها إلىَّ وذكرَهَا فإنى بليــلى قـد لقيت دواهيَا
أعد الليالى والشهورَ ولا أرى جنـونى بهـا يزداد إلا تماديَا
دعوت إله العرش عشرين حجّةً نهـاراً وليلاً فى السنين الخواليَا[1]
فيارب نسينى هواها وذكرها نعم وأرحْنى ما يلاقى فؤاديَا
وإنى لأستغشى وما بىَ نعسةٌ لعلَّ خيالا منكِ يغشى خياليَا
وأنت التى لو شئتِ أنعمت عيشتى ولو شئت يا ليلى لأنعمت باليَا
فيا ليت ليلى لم تـكنَ لى خليـلةً ولم ترها عينى ولم أدر ما هيَـا

---

(١) حجة سنة

أعدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ ... وقد عشت دهرا لا أعد اللياليَا

إذا ما تداعى فى الأنين حبائبٌ ... دعوت لليلى أن تجيب دعائيَا

فلا نفع الله الطبيبَ بطبّه ... ولا أرشد الله الحكيم المداويَا

أتيت أبا ليلى بصحبي ونسوتى ... وجمّعت جمعا من رجال بلاديا

بأن يتخلىَّ عن قساوة قلبه ... فزاد فظاظا ثم رام هلاكيَا

ألاَ لارعا الله الوشاة فإنهم ... يرومون قتلى عامدين هلاكيَا

ألاَ قل للقومى هام قيس من الهوى ... لقد هِمْتُ يا ليلى وزاد هياميا

ألا قل لهم ما قد ترى من صبابتى ... ومن أدمع تنهلُّ منى تواليَا

فمن أجل ليلى صرت راعٍ لأهلها ... ثلاثين شهرا فى السنين الخواليَا[1]

ومن أجل ليلى شاب ياقوم مفرقى ... وخلّيت بعدها جميع رجاليَا

ومن أجل ليلى صرت أستوطن الفلا ... وأحببت بعد الأهل وحشَ البراريا

ومن أجلها أحببت من لا يحبنى ... ومن لا يزال الدهرَ منها معاديَا

ومن أجلها صاحبت قوما تعصّبوا ... علىَّ ولم يرعَوْا حقوق جواريَا

ثم ذكر أبياتا ركيكة يستحيي ذكرها لغير قيس ، فما بالك به ، وقد أورد ذلك جميعه وزاد عليه فى الديوان الموضوع برسمه .

وأخبرنا أبو عبد الله حسن بن الشمس الصالحى ، أنا النظام بن مفلح، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا الزينبي أنا التنوخى ، أنا ابن حَيَّوَيْه ، أنا ابن المرزبان ، ثنا ابن خلف ، أخبرنى أبو يعقوب النخعى ، أنا التيمى أو غيره قال :

كان مجنون بنى عامر يبلغ به الأمر حتى يمسى عريانا ، ولا يصيب فى شيء يتكلم به إلا أن يجرى ذكر ليلى ، وكانت العرب لاتزوج عاشقا ولا فى عام سَنَة[2] فذلك الذى منعهم أن يزوجوه من ابنة عمه، وقالوا :زوجوها

---

(١) فى قوله ـ صرت راع ـ خطأ نحوى ظاهر .

(٢) سنة جدب .

بأيسر منه ، وكان صعلوكا ، فزوجوها من غيره ، فذلك حيث يقول :

أرى أهل ليلى لا يريدوننى لها بشىء ولا أهـلى يريدونها ليا
يقولون : ليلى أهل بيت عداوة بنفسىَ ليلى من عدو وماليـا(١)

قال شيخنا : وأنا أبو عبد الله بن مقبل فى كتابه ، أنا الصلاح ابن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا ابن الـجَـوْزى ، أنا ابن ناصر ، أنا المبارك ابن عبد الجبار ، أنا يحيى بن الحسن ، أنا ابن سويد ، أنا أبو بكر بن الأنبارى أنشدنا أحمد بن يحيى لقيس بن معاذ :

إذا قربتْ دارٌ كلفتُ وإن نأتْ أسفتُ فلا بالقرب أسلو ولا البعد(٢)
وإن وعدتْ زاد الهوى لانتظارها وإن بخلت بالوعد متُّ على الوعدِ
ففى كل حب لا محالةَ فرحةٌ وحبكِ ما فيه سوى محكم الجهـدِ

وفى رواية أخرى أنه اجتمع بليلى يوما . فلما حان فراقها أنشد هذه الأبيات ، وأورد له فى المرقص والمطرب :

متى يشتفى منكِ الفؤادُ المعذَّبُ وسهمُ المنايا من وصالك أقربَ
فبعدٌ وهجر واشتياق ورجفة فلا أنت تدنينى ولا أنا أقربُ
كعصفورة فى كفّ طفل يزمُّها تذوق حياضَ الموت والطفل يلعبُ(٣)
فلا الطفلَ ذو عقل يرقُّ لمَا بها ولا الطير ذو ريش يطير فيذهبُ
ولى ألفُ وجه قد عرفت مكانَهُ ولكنْ بلا قلب إلى أين أذهبَ(٤)

وأورد له فيه :

كأنَّ القلب ليلَ يقال يُغـْدَى بليلى العامرية أو يراحُ(٥)

---

(١) وماليا معطوف على نفسى والألف للإطلاق . ومن عدو تمييز مجرور بمن

(٢) سبقت هذه الأبيات .

(٣) يزمها يربطها ويشدها .

(٤) فى رواية : قد عرفت طريقه .

(٥) يغدى من الغدو وهو السير أول النهار . ويراح من الرواح وهو السير آخر النهار .

قطاةٌ عزَّها شركٌ فباتت تجاذبه وقد غَـلِق الجناحُ[1]
فلا بالليـل نالتْ ما تمنَّتْ ولا بالصبح كان لها بَراحُ

وقد ذكر ذلك بعضهم ونسبه فى الحماسة إلى نُصَـيب ، وهو :

كأنَّ القلب حين يقال يُـغْـدَى بليـلى العامرية أو يراحُ
قطاةٌ عزها شرك فباتت تجاذبه وقد غلق الجنـاحُ
لها فرخان قد تُـرِكـا بوكرٍ على فَنَنٍ تصفّـقه الرياحُ[2]
إذا سمعا هبوبَ الريح نَصَّـا وقد أودى بها القدر المياحُ[3]
فلا باليـل نالتْ ما ترجى ولا فى الصبح كان لهـا براحُ

وفى رواية لابن الأعرابى :

كأنَّ القلب ليلةَ قيل يُـغْـدَى . . . . . . .

والقطاة طائر معروف . وعزها فى هذه الرواية بالزاى والعين المهملة ، وكذلك سمعته من بعض أصحابنا ، وسمعته من الأكثر بالغين المعجمة والراء المهملة من الغرور ، وهو أحسن ، وفى فوائد العز ابى العباس قاضى مصر الحنبلى ـ وذكر أنه نقله من كلام ابن الأنبارى ـ عزها بالزاى المعجمة من الغلبة ، ومنه قوله تعالى ( وعزّنى فى الخطاب ) وغلق بالغين المعجمة، ومنه قوله عليه السلام « لا يغلق الرهن » والذى قرأناه ورويناه بالعين المهملة ، والفنن الغصن ، وروى عوض على فنن ـ فمشهما ـ والمياح الملآن[4] وقال الشاعر :

أيّهـا المائحُ دلوى دونَـكَـا إنى رأيت الناسَ يحمدونَـكَـا[5]

---

(١) عزها غلبها .

(٢) تصفقه من صفقه ضربه ضربا يسمع له صوت .

(٣) نصا صوّتا . وفى رواية : هبا .

(٤) فى رواية : المتاح المقدر .

(٥) المائح من ماح يميح اغترف الماء .

وذكر بعضهم له :

ولو عبدٌ أتى من آل ليلى ليركبنى اصرتُ له حمارا[1]

وذكر له فى قصيدة :

وكان نساءُ الحىِّ مُذ كنت بينهم ملاحاً فلمَّا غبت صرنَ قباحا

وأخبرنا الحيرى يحى بن محمد الحفنى ، عن عائشة بنت المحتسب عن أبى الحجَّاج المزّى ، أنا ابن البخارى ، عن ابن الجَوْزى ، أخبرتنا شهدة ، أنا جعفر بن أحمد ، أنا أبو بكر بن محمد الأردستانى . أنا الحسن بن محمد بن حبيب ، قال : سمعت أبا على الحسين بن أحمد البيرق ، سمعت أبا بكر بن الأنبارى ، سمعت العباس بن سالم الشيبانى ، سمعت ابن الأعرابى ، قال : ومن جيد شعره ، يعنى مجنون بنى عامر :

وجاءوا إليه بالتعاويذ والرُّقىَ وصبُّوا عليه الماءَ من ألم النُّكسِ[2]

وقالوا : به من أعين الجن نظرة ولو عقلوا قالوا : به أعين الإنسِ[3]

وأورد له فى المرقص والمطرب :

لقد هتفتْ فى جنح ليل حمائمُ على إلفها تبكى وإنى لنائمُ[4]

كذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاشقاً لمَا سبقتنى بالبكاء الحمائمُ

قال ابن البخارى : وأنبأنا ابن الجَوْزى ، قال : وحُكِىَ أن قوما قالوا لأبيه : أطلب له طبيبا . فأتاه بطبيب فأنشأ يقول :

ألا يا طبيبَ النفس أنت طبيبُهَا فرفقاً بنفس قد جفاها حبيبُهَا

دعتنى دواعى حب ليلى ودونَهَا درى قرب جسمى الخوف منها نلوبها[5]

---

(١) لا يخفى تهافت هذا البيت ولعله من الشعر المنحول .

(٢) النكس ألا يستقل الرجل بعد سقطته حتى يسقط ثانية أشد من الأولى .

(٣) فى رواية : نظرة الإنس .

(٤) فى رواية حمامة بدل حمائم .

(٥) فى الشطر الثانى تحريف ظاهر . ولعل أصله ـ ذرى قور حسمى الخرق =

فلبّيكَ من داعٍ دعا ولوَ انّنى صدًى بين أحجارٍ لظلَّ يجيبُها
وما هجرتكِ النفس من أجل أنها قلتْكِ ولكنْ قلَّ منكِ نصيبُها

وذكر بعضهم له :

ألا أيُها القصَّادُ نحوى لتعلموا بحالى وما أصبحتُ فى القفر أصنعُ
ألم تعلموا أنَّ القطا قد ألفتُهُ وأن وحوشَ القفر حولىَ ترتعُ[1]
وعيشكِ مالى حيلةٌ غير أنّنى بلقط الحصى والخط فى الأرض مولعُ
وأن وحوش البر يألفون بى ذكورٌ إناثٌ ثم خشفٌ ومرضعُ[2]
وهذا مكانى فى الفلاة ووحدتى وعشقى لليلى للهموم مجمّعُ[3]

وذكر له :

زها جسمُ ليلى فى الثياب تنعمّاً فياليتنى لو كنت بعض برودهَا[4]
أفى النوم ياليلى رأيتك أمْ أنا رأيتكِ يقظانا فعندى شهودُهَا
ضممتك حتى قلتُ : نارى قدانطفتْ فلم تطفَ نيرانى وشبَّ وقودُها

وأخبرنا أبو المحاسن يوسف بن حسن الصالحى سماعا عليه سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، قال : قرىء على النظام بن مفلح وأنا أسمع ، أخبرنا الحافظ أبو بكر بن المحب ، أنا الحافظ أبو الحجاج المزى ، أنا أبو الحسن ابن البخارى ، أنا أبو حفص بن طبرزد ، أنا القاضى أبو بكر الأنصارى ، أنا أبو الحسين بن المهتدى بالله ، أنا ابن المأمون ، أنا أبو بكر بن الأنبارى

---

= منها قلوبها ـ وحسمى أرض بالبادية وقورها تلالها . والخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح . وقلوبها أواسطها .

(١) رتع فى المكان أقام وتنعم وأكل فيه وشرب ماشاء فى خصب وسعة ورغد
(٢) ذكور إناث على حذف واو العطف أى ذكور واناث ، والخشف ولد الظبية أول ما يولد .
(٣) فى رواية : ودون مقامى بدل وهذا مكانى ، وتجمع بدل مجمع .
(٤) برود جمع برد وهو كساء مخطط ، وفى البيت إقواء .

أنشدنى محمد بن المرزبان ، أنشدنى أبو على البلدى الشاعر لقيس بن الملوّح مجنون بنى عامر :

لئنْ نزحتْ دارٌ بليلى لَرُبَّمَا ... عَنِينا بخير والديارُ جميعُ
ففى النفس من وجدٍ إليكِ صبابةٌ ... وفى القلب من شوقٍ إليكِ صدوعُ

ومما ينسب إليه :

بالله يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا : ... ليلاىَ منكنَّ أمْ ليلى من البشرِ [1]

قال ابن المحب : وأنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا الزينبى، أنا التنوخى ، أنا ابن حَيَّوَيْه ، أنا ابن المرزبان ، أنشدنا محمد بن خلف ، أنشدنا أبو عمرو الشيبانى للمجنون :

يقرُّ بعينى قربُها ويزيدنى ... بها كَلَفاً من كان عندى يعيبُهَا [2]
وكم قائلٍ : قد قال تُبْ فعصيته ... وتلك لعمرى توبةٌ لا أتوبُهَا

وبه إلى ابن خلف : أنشدنى أبو حاتم السجستانى للمجنون :

عفا الله عن ليلى وإنْ سفكت دمى ... فإنى وإنْ لم تجزنى غير عاتبِ
عليها ولا مُبْدٍ لليلى شكايةً ... وقد تشتكى البلوى إلى كل صاحب [3]
يقولون : تُبْ من حب ليلى وذكرها ... وما خلتُنِى عن حب ليلى بتائبِ

وذكر بعضهم له :

أيا ليلَ ما للصبح منك بعيدُ ... وإنى لمحزونُ الفؤاد عميدُ [4]
أراعى نجومَ الليل سهرانَ باكياً ... قريح الحشا مُضْنَى الفؤاد فريد
بحبكِ يا ليلى ابتليتُ وإنَّنى ... حليفُ الأسى باكى الجفون فقيدُ

---

(١) القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٢) سبق هذان البيتان .

(٣) فى رواية — وقد يشتكى المشكى — اسم فاعل من أشكاه أوقعه فى الشكوى وشكواه من التجنى على الشاكى .

(٤) العميد الذى هده العشق .

لقد طال ليلى واستهلّت مدامعى ... وفاضت جفونى والغرامُ يزيدُ
أكابد أحزانى ونارى وحرقتى ... ووصلك يا ليـلى أراه بعيدُ (١)
لقد عيل صبرى من غرامى ووحدتى ... وعُظْم اشتياقى هائم ووحيد (٢)
فهل مسعدٌ لى فى الذى قد أصابنى ... على سهرى والعالمـون رقودُ
عسى الطيفُ يأتينى ومن يغف ساعة ... ومن يلق صبراً والعذابُ شديدُ (٣)
ألا ليتنى قدمتُ شوقاً ووحشةً ... فشوقى وحزنى لا يزال جديدُ (٤)
ألا فاذكرى ماقد بقى من حشاشتى ... فقد حان موتى والمماتَ أريدُ

وفى ديوان شعره له :

أيا جبل الدَّوْم الذى فى ظلاله ... غزالان مكحولان مؤتلفان (٥)
غزالان شبَّا فى نعيم وغبطة ... من النـاس مذعوران محتبسان
خليلىَّ أما أم عمرو فنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلانى
أفى كل يوم أنت آتٍ ديارَها ... بعينـين إنساناهما غـرقان
إذا اغرورقتْ عيناىَ قال صحابتى : ... لقد أولعتْ عينـاك بالهملان
نأتْ دارهم عنى وفرَّق بيننـا ... جرائرُ جرَّتها يدى ولسانى (٦)
فأصبحت عنهم أجنبيًّا ولم أكن ... كذاك على بعـد ونحن دوان
وكم من هَوًى لا يستطاع طلابُهُ ... أتى دونه مَرٌّ من الحـدثان

---

(١) بعيد خبر وصلك بإلغاء عمل أرى فيه .

(٢) هائم خبر مبتدإ محذوف أى وأنا هائم .

(٣) يغف ينام نومة خفيفة وأصله يغفى فحذفت الياء تخفيفا ، وكذلك الألف فى يلق ، لأن من للاستفهام الإنكارى .

(٤) جديد خبر شوقى ، وحذف خبر لا يزال لدلالته عليه ، والظاهر أن مثل هذا من الشعر المنحول ، ولعل القصيدة كلها منحولة .

(٥) الدوم شجر المقل والنبق وضخام الشجر ، وفى رواية جبل الثلج وهو جبل بدمشق .

(٦) جرائر ذنوب .

وعزّيت نفسي وَهْي بين صبابة    تجود وهل لي بالفراق يدان[1]
طوى السرَّ في نفسي عن الناس كلهم    ضلوعٌ على ما يحتوين دوانِ[2]

وأخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن أبي عمر ، أنا أبو العباس بن الشريفة عن أحمد بن علي المرداوي ، أنا أبو الحجاج الحافظ ، أنا أبو الحسن السعدي ، عن أبي الفرج بن الجَوْزي ، قال : والمجنون :

وإنّي لمجنونٌ بليلى موكَّلٌ    ولست عزوفاً عن هواها ولا جلدا[3]
إذا ذكرتْ ليلى بكيت صبابةً    لتذكارها حتى يبلّ البكاء الجلدا

ومما وجدت بخط ابن شيخ السلامية ، قال : وقال مجنون بني عامر :

وشُغلتُ عن فهم الحديث سوى    ماكان فيكِ وحبُّكم شغلي[4]
وأديم نحو محـدثي ليرى    أنْ قد فهمتُ وعندكم عقلي

ومما ذكره ابن القيّم لقيس بن الملوّح :

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى    فصادفَ قلبي خالياً فتمكّنا

ويروى : قلبا .

وأخبرنا أبو عمر يوسف بن البدر الصالحي سماعا عليه ، قال : قرىء على النظام بن مفلح وأنا أسمع . أخبرنا الحافظ أبو بكر بن المحب ، أنا أبو الحجاج القضاعي ، أنا أبو الحسن الصالحي ، أنا أبو حفص الدارقزي ، أنا القاضي أبو بكر الأنصاري : أنا أبو الحسين بن المهتدي بالله ، أنا أبو الفضل بن المأمون ، أنا أبو بكر بن الأنباري ، أنشدني محمد بن المرزبان لقيس بن الملوّح :

فحبّكِ أنساني الشرابَ وبردَهُ    وحبُّكِ أبكاني بكل مكانِ

---

(١) تجود : جاد بنفسه مات .
(٢) في رواية : حوان .
(٣) سبق البيتان .
(٤) سبق البيتان أيضا .

وحبك أنسانى الصلاةَ فلم أقم لربى بتسبيح ولا بقَران[١]

وذكر بعضهم له :

يميل بىَ الهوى فى أرض ليلى فأشكوها غــــرامى والتهـابى
وأمطر فى التراب سحابِ جفنى وقلبى فى همـــــوم واكتئاب
وأشكو للديار عظيم وَجدى ودمعى فى انهمال وانصباب
أكلّم صورةً فى التُّرب منها كأنَّ التربَ مستمعٌ خطابى
كأنى عنــــدها أشكو إليها شقائى والحديثُ إلى التراب[٢]
فلا شخصٌ يرد جوابَ قولى ولا الغُيّـابُ ترجع لى جوابى[٣]
فأرجع خائبا والدمع منى هَتونٌ مثل تَسكاب السحاب[٤]
على أنى بها المجنونُ حقّـــا وقلبى من هواها فى عذاب

ومما ذكر له فى ديوان شعره :

ألاَ حبذا يومٌ تهبُّ به الصَّبا لنا وعشيّاتٌ تجلّتْ غيومُها[٥]
بنَعمانَ إذ أهلى بنعمان جيرةٌ ليالىَ لا ترضى بدار نقيمُها
أيا جبلَىْ نعمانَ بالله خلّيا نسيمَ الصَّبا يخلص إلىَّ نسيمُها
أجدْ بردَها أو تشفِ منى حرارةً على كبد لم يبق إلا صميمُها
فإنَّ الصبا ريح إذا ما تنسمتْ على نفس مهموم تجلّت همومها
تذكرتُ منها بالعشيّات والضحى لذاذَة دنيا قد تولىَّ نعيمُها
أتعذر ليلى بالنوى أم تلومها وليلى فدَى نفسى التى لا ألومُها
بعينى قذاةٌ من هواكِ لَوَ انَّها تُداوَى بمن تهوى لصحَّ سقيمُها

(١) بقران مخفف قرآن أى قراءة .
(٢) والحديث إلى التراب : جملة حالية .
(٣) يريد بالغياب ليلى وكثيرا ما يطلق الجمع ويراد به واحد .
(٤) هتون متتابع .
(٥) فى رواية : يقربه الصبا ، وهى ريح تهب من الشرق .

وماصبرتُ عن ذكركِ النفسَ ساعةً   وإن كنت أحيانا كثير ألومُها
علىّ نذورٌ يومَ زرتكِ خالياً   ليالٍ وأيامٌ كثير أصومُها
وإنى لمجلوبٌ إلى الشوق كلّما   بدا لىَ من أعلام ليلى رسومُها

وأخبرنا أبو الفضل محمد بن الإمام الصالحى الشافعى، أنا أبو بكر القيسى، أنبأنا أبو بكر بن المحب، أنا المطعم، أخبرتنا كريمة، أنا ابن ناقة، أنا الزينبى أنا التنوخى، أنا ابن حَيّويه، أنا ابن المرزبان، أنشدنا ابن خلف، أنشدنى أبو توبة، أنشدنى أبو عمرو الشيبانى للمجنون :

ألا مَن لنفسٍ حبُّ ليلى شعارُها   مشاركُها بعد الصدق اعتمارُها[1]
بها عَلَقٌ من حب ليلى يزيده   مرور الليالى طولُها وقصارُها
ولم أر ليلى بعد يومَ اغتررتها   فهاجَ خيالاً يوم ذاك اغترارُها[2]
من البيض دَرْماءُ العظام كأنما   يلاثُ على دعص هَيال إزارُها[3]
فما ظبيةٌ أدماءُ خفّاقةُ الحشا   لها شادنٌ يدعوه وترا خوارُها[4]
بأحسنَ من ليلى ولا مكفهرّةٌ   من المزْنِ شقّ المَلُّ عنها إزارُها[5]

وقيل له :

رعاكِ ضمانُ الله يا أمّ مالكٍ   ولله مَنْ يسقيكِ أغنى وأوسعُ[6]
يذكرنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى   أخاف وأرجو والذى أتوقّعُ

وذكر بعضهم له :

---

(١) فى رواية : بعد العصىّ ائتمارها .

(٢) اغتررتها اجترأت على حبها .

(٣) فى رواية : كوماء العظام أى مرتفعتها، أما درماء فمعناه وارى لحمها عظمها، ودعص كثيب رمل، وهيال من هال الرمل تصبب وانصب .

(٤) أدماء سمراء، وشادن ولد قوى واستغنى عنها، وخوارها صوتها .

(٥) مكفهرة سحابة سوداء، والمل الخياطة .

(٦) فى رواية : أن يشفين .

أبوسُ ترابَ أقدامٍ لليلى ولولا ذاك لم أدْعى مصابَا[1]
وما بَوْسى الترابَ لحبِّ أرض ولكنْ حبُّ من وطىء الترابَا
جُننتُ بها وقد أصبحت فيها محبا أستطيب بها العذابَا
ولازمت القفارَ بكل أرض وعيشى بالوحوش نما وطابَا

وذكر له من قصيدة :

وإنَّ انهمالَ الدمع منىَ كلَّمَا ذكرتُ ياليلَ خالياً لسريعُ

وفى ديوان شعره له :

خليلىَّ هذا الرَّبْعُ هيَّج لوعتى فبالله عُوجَا ساعةَ ثم سلِّمَا
ألم تعلما أنى بذلت مودّتى لليلى وأن الحبَّ منها تصرَّمَا[2]
نشدتكما بالله إلاَّ قضيتما بعدل فقد وُلّيتما الحكمَ فاحكمَا
أجود لها بالودّ منى سجيّةً ألاَ فاسألاها أيُّنا كان أظلمَا
وأذكر ليلى كُلَّ يوم وليلةٍ كذكر النصارى قدس عيسى بن مريما[3]

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن الإمام الصالحى ، أنا أبو عبد الله بن فوارس أنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب ، أنا أبو الحجاج المزى . أنا أبو الحسن ابن البخارى ، عن أبى الفرج بن الجَوْزى . قال : ويروى له من قصيدة أخرى :

أيا حرَجاتِ الحى يومَ تحمَّلوا بذى سلمٍ لاجادكنَّ ربيعُ[4]
إلى الله أشكو نيةً شقّتِ العصا هى اليومَ شتّىً وهىَ أمس جميعُ[5]
فإن انهمال العين بالليل كلَّما ذكرتكِ وحدى خالياً لسريعُ

---

(١) أبوس أقبل .
(٢) تصرم انقطع والألف للإطلاق .
(٣) قدس عيسى بن ومريم تقديسها والألف للإطلاق .
(٤) الحرجات الأمكنة الضيقة الكثيرة الشجر ، وجاد المطر غزر .
(٥) شقت العصا فرقت جمعهم ، وشتى متفرقة جمع شتيت .

فلو لم يهجنى الظاعنون لهاجنى حمائمُ وَرْقٌ فى الديار وقوع[1]
تجاوبْنَ واستبكين من كان ذاهوًى نوائحُ ما تجرى لهنّ دموع
لعمركِ إنى يومَ جرعاءِ مالك لعَاصٍ لأمر المرشدين مضيع[2]
مضى زمن والناس يستشفعون بى فهل لى إلى ليلى الغداةَ شفيع
ندمت على ما كان منى فغرٌ بى كما يندم المغبون حين يبيعُ[3]
فقدتكِ من نفس شَعاعٍ فإنما نهيتك عن هذا وأنتِ جميعُ[4]
فقرّبتِ لى غير القريب وأشرفتْ هناك ثنايا ما لهن طلوعُ[5]

ويروى عوض — فغر بى : صبابة .

وذكر صاحب منازل الأحباب له :

قمرٌ نَم عليـــه نورُهُ كيف يُخْفِى الليلُ بدراً طالعَا
رصد الخلوةَ حتى أمكنتْ ورعى الساهر حتى هجعَا[6]
ركب الأخطارَ فى زورته ثم ما سلّـــم حتى ودّعا

قال أبو بكر بن المحب : وأنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا ابن الزينبي ، أنا التنوخى ، أنا ابن حَيُّوَيْه ، أنا ابن المرزبان ، أنا محمد بن خلف ، أنا عبد الجبار بن سعيد بن نوفل بن مساحق ، للمجنون :

وإنك لو بلّغتها قولىَ اسلمى طوتْ حزَناً وارفضّ منها دموعها[7]
وبان الذى تخفى من الشوق فى الحشا إذا هاجها منى حديثٌ يروعُهَا

---

(١) ورق جمع أورق وهو الذى لونه الرماد .

(٢) جرعاء مالك موضع .

(٣) فى رواية : ندامة بدل فغربى .

(٤) يقال طارت نفسه شعاعا تبددت من الخوف ونحوه .

(٥) أشرفت ظهرت وارتفعت ، والثنايا العقبات والمراقى الصعبة فى الجبل .

(٦) هجع نام والألف للإطلاق .

(٧) ارفض سال

وفاضتْ فلم تملك سوى فيض عبرةٍ ... وقلَّ لباقى العيشَ منها قنوعُها
إذا طلعتْ شمس النهار فسلمى ... فآيةُ تسليمى عليك طلوعُها
بعشر تحياتٍ إذا الشمس أشرقتْ ... وعشرٍ إذا اصفرَّتْ وحانَ وقوعها (١)

قال أبو سعيد : أنشدت هذه الأبيات أبا العالية فقال فى المجنون : إنما هو الأقرع بن معاذ القُشيرى . وذكر له :

فلو زرتُ بيتَ الله ثم رأيتها ... بأبوابه حيث استجار حمامُها (٢)
لمسَّتْ ثيابى إن قدرت ثيابَها ... ولم ينهَ عن مسهنَّ حرامُها
ولو شهدتنى حين تحضر ميتتى ... جلا سكرات الموت عنى كلامُها

وذكر له :

ولو تلتقى فى الموت روحى وروحُها ... ومن بين رمسينا من الأرض منكبُ (٣)
لظلَّ صدى رمسى وإن كنت رمّةً ... لصوت صدى ليلى يهشُّ ويطربُ (٤)

وذكر بعضهم له :

ألاَ لا أرى وادى المياهُ يثيبُ ... ولا النفس عن وادى المياه تطيبُ (٥)
أحب هبوطَ الواديين وإننى ... لمشتهرٌ بالواديين غريبُ
أحقاً عبادَ الله أنْ لست وارداً ... ولا صادراً إلا علىَّ رقيبُ (٦)
ولا زائرا وحدى ولا فى جماعةٍ ... من الناس إلا قيل : أنت مريبُ

---

(١) وقوعها غروبها .
(٢) استجار لجأ .
(٣) منكب موضع مرتفع
(٤) الصدى نوع من البوم يأوى إلى الأماكن الخربة ، وكانوا يزعمون أنه يخلق من رأس المقتول ولا يزال يصيح فى رأسه إذا لم يؤخذ برأسه ـ اسقونى ـ حتى يقتل قاتله.
(٥) يثيب يرجع .
(٦) الوارد فى الأصل الذاهب إلى الماء والصادر الراجع عنه .

ألا في سبيل الحب ما قد لقيتُهُ    غراما به أحيــا ومنه أذوبُ
ألا في سبيل الله قلب معذَّبٌ    بذكرك يا ليلى الغداةَ طروبُ [١]
أيا حبَّ ليلى لا تبارحُ مهجتى    ففى حيِّها بَعْدُ الممات قريبُ
أقام بقلبي من هواها صبابةٌ    وبين ضلوعى والفؤاد وجيبُ [٢]
فلو أنَّ ما بى بالحصى فلق الحصى    وبالريح لم يُسْمَعْ لهن هبوبُ
ولو أن أنفاسى أصابتْ بحرِّها    حديداً لكانت للحديد تذيبُ
ولو أنني أستغفر الله كُلَّمَا    ذكرتك لم تكتبْ علىَّ ذنوبُ
ولو أن ليلى فى العراق لزرتها    ولو كان خلف الشمس حين تغيبُ
أحبُّك يا ليلى غراماً ومعشقاً    وليس يُرى لى فى الوصال نصيبُ [٣]
أحبك حبًّا قد تمكَّن فى الحشا    ودبَّ هواكِ فى العظام دبيبُ [٤]
أحبك يا ليلى محبَّةَ عاشقٍ    أهاج الهوى فى القلب منه لهيب
أحبك حتى يبعث الله خلقه    ولى منك فى يوم الحساب حسيبُ [٥]
سقى الله أرضاً أهلُ ليلى تحلُّها    وجادَ عليها الغيثُ وهْوَ سكوبُ
ليخضرَّ مرعاها ويخصبَ أهلُهَا    وينمى بهذاك المحل خصيبَ [٦]

وأخبرنا الجمال يوسف بن حسن العدوى سماعا عليه ، أخبرتنا كاملة ابنة الحوسكانى إذنا ، قالت : أنا أبو العباس بن الحوسكانى ، أنا الجمال المزّى أنا ابن أبى عمر وابن البخارى ، كلاهما عن ابن الجَوْزى ، قال : وللمجنون فى قصيدة :

---

(١) طروب حزين .
(٢) وجيب من وجب القلب رجف وخفق
(٣) معشقا عشقا ، والذى فى الأصل ـ وعشقه ـ والعشق افراط الحب .
(٤) دبيب فاعل دب ، وروى الشطر الثانى ـ له بين جلدى والعظام دبيب ـ وهو أصح .
(٥) حسيب محاسب .
(٦) خصيب مخصب .

يقرُ بعينى قــربها ويزيدنى ... بها عَجَباً من كان عندى يعيبُهَا
فكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصيتُهُ ... وتلك لعمرى توبةٌ لا أتوبُهَا
فيا نفسُ صبراً لست والله فاعلمى ... بأوّلِ نفس غابَ عنها حبيبُهَا

وقال : وله فى قصيدة أخرى :

تجنَّبْتَ ليلى أن يلمَّ بك الهوى ... وهيهاتَ كان الحب قبل التجنُّب(١)
ولم أر ليلى قبل موقف ساعةٍ ... ببطن منىً نرمى جمارَ المحصَّبِ

قال : وله فى قصيدة أخرى :

وَأَلْقى من الحب المبرّحِ سَوْرةً ... لها بين جلدى والعظام دبيبُ(٢)
لقد شفَّ هذى النفس أن ليس بارحاً ... لها شجَنٌ ما يستطاع قريب(٣)
فلا تترُكى نفسى شَعاعاً فإنها ... من الوجد قد كادتْ عليك تذوبُ(٤)

وذكر بعضهم له :

ولم أر ليلى قبل موقف ساعة ... بخَيْف منىً ترمى جمارَ المحصب(٥)
ويبدى الحصى منها إذا قذفتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البنانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح فى أعقابِ نجم مغرّبِ
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صدى أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

قال شيخنا هذا : وأنا أبو عبد الله العماد ، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا الزينبى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حَيُّوَيْه ، أنا ابن المرزبان ، أنشدنا محمد بن خلف ، قال : قال العتبى : أنشدنى أبى للمجنون :

---

(١) يلم ينزل .
(٢) يقال برح به الأمر اشتد عليه وآذاه أذى شديدا ، وسورة شدة .
(٣) شف أوهن . وشجن حزن .
(٤) يقال ذهبت نفسه شعاعا تبددت من الهم ونحوه .
(٥) سبقت هذه الأبيات .

وأصبحت من ليلى الغداةَ كناظرٍ مع الصبح فى أعقاب ليل مغرّب
تجنَّبتَ ليلى أن يلحّ بك الهوى وهيهات كان الحبُّ قبل التجنبِ

وبه إلى ابن خلف : أنشدنى التَّوْزى للمجنون :

أقول لخشف مرّبى وهو راتع : أأنت أخو ليلى فقال : يقالُ[1]
فإن لم تكن ليلى غزالا بعينه فقد أشبهتْهَا ظبية وغزالُ

ولقيس بن الملوّح على ما ذكره ابن الجَوْزى وغيره ، وذكرها غيره كابن القيم لقيس بن ذَريح ، وهى :

تعلّق روحى روحَها قبل خلقها ومن بعد ما كنّا نطافا وفى المهدِ[2]
فعاش كما عشنا فأصبح نامياً وليس وإن متنا بمنقضب العهدِ
ولكنه باقٍ على كل حادث وزائرنا فى ظلمة القبر واللحدِ
يكاد فَضيضُ الماء يخدش جلدها إذا اغتسلتْ بالماء من رقّة الجلدِ
وإنى لمشتاقٌ إلى ريح جَيْبها كما اشتاق إدريسٌ إلى جنة الخلدِ

وذكر بعضهم له من قصيدة :

عجبت لليلى كيف نامتْ وقد غفت وليس لعينى للمنام سبيلُ[3]
ولما غفت عينى وما عادة لها بنوم وقلبى بالفــراق عليلُ
أتانى خيال منك بالليلَ زائرٌ فكادت له نفسى الغداةَ تزولُ
خيال لليلى زارنى بعد هجره وزار نجيًّا والعناقُ يطولُ[4]

وذكر له من قصيدة أخرى :

إذا حجبتْ ليل فما أنت صانعُ أتصبر أم للبين قلبك جازعِ

---

(١) الخشف ولد الظبية أو ما يولد ، وراتع من رتع بالمكان أقام به وتنعم فى أحسن حال .

(٢) سبقت هذه الأبيات .

(٣) غفت نامت نوما خفيفا .

(٤) نقله الاستاذ فراج ورام عتابى والعتاب يطول .

نعم إنني صب وقلبي متيم ... ولست بسال ما دعا الله خاشع
ولا صبر لي عنها ولا لي سلوة ... ولي زفرات في الحشا ومدامع[1]
وقد جد بي وجدي وفاضت مدامعي ... وقد زاد ما انضمت عليه الأضالع
ألا إن ليلى كالغزالة في الضحى ... أو البدر في الظلماء بالتم طالع[2]
لقد حبها قلبي وهمت بحبها ... ولا صبر مما يلتقى الصب مانع[3]
وكيف أسلى النفس عنها وحبها ... يؤرقني والعاذلون هواجع
وقلبي كئيب في هواها وإنني ... لفي وصل ليلى ما حييت لطامع

وذكر له من قصيدة أخرى :

فما رحمت يوم التفرق مهجتي ... وقد كاد يبكي رحمة لي بعيرها
ولا لي رثت لما شكوت صبابتي ... ولا أطفأت ناراً يشب زفيرها
وإني من البلوى أسير صبابة ... وزادت بي البلوى يكر مرورها
فلا تعذلوني تكسبون خطيئتي ... فحالة مثلي للمات مصيرها

وذكر له من قصيدة أخرى :

أيا أبتي دعني وما قد لقيته ... ولا تلح محزون الفؤاد سقيم[4]
عديم التسلي باكي العين ساهر ... حليف الأسى للإصطبار عديم
تعشقت ليلى وابتليت بحبها ... وأصبحت منها في القفار أهيم
كلفت بها حتى أذابني الهوى ... وصير عظمي بالغرام رميم
وأصبحت فيها عاشقا وموليا ... مضى الصبر مني والغرام مقيم

---

(١) نقله الاستاذ فراج سوى سقرات، والسقرة شدة وقع الشمس ، وفي البيت عليه إقواء ظاهر .

(٢) بالتم طالع : مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال ، يقال تم تماً تكاملت أجزاؤه .

(٣) في رواية : وعم غرامها بدل : همت بحبها .

(٤) أبيات هذه القصيدة ضعيفه والظاهر أنها من الشعر المنحول .

يقول أبي يا قيس عندي خلافُها … وأكثرُ منها بهجــةً ونعيمْ
وذي أمها كانت من الروم أصلها … وقصدي أنا أصلي يكون كريمْ
رضيت الذي قدْ عبتَ يا أبتي بها … ودَعْ أصلها بين النساء ذميمْ
فيا أبتي إن كنت حيًّا تريدني … وترجو حيــاتي بينكن أقيمْ
فَجُدْ لي بليلى واصطنعني بقومها … أصير لها زوجا وأنت سليمْ
لليلى على قلبي من الحب حاجزٌ … مقيم ولكنَّ اللسانَ عقيمْ[1]
فواحدة تبكي من الهجر والقلى … وأخرى تبكّي شجوَهَا وتقيمُ
وتنهضني من حب ليلى نواهضٌ … لهنَّ حريقٌ في الفؤاد عظيمْ
إلى الله أشكو حبَّ ليلى كما شكا … إلى الله فَقْدَ الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون فعظمهُ … ضعيف وحبُّ الوالدين قديمُ
وإنَّ زمانا فرّق الدهر بيننـا … وبينكِ يا ليـــلى فذاكِ ذميمُ

وذكر له من قصيدة أخرى :

ضعفتُ عن التسليم يومَ وداعها … فودعتها بالطَّرْف والعينُ تدمعُ[2]
وأخرستُ عن نطق الحديث فمن رأى … محبًّا بدمع العين قلباً يودِّعُ
عليك سلامُ الله مني تحيةً … إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

وذكر له من قصيدة أخرى :

أحبُّكِ يا ليلى وأفرطَ في حبي … وتبدين لي هجرا على البعد والقربِ
وأهواكِ يا ليلى هوًى لو تضمَّنتْ … نفوسُ الورى أدناه صحنَ من الكرب[3]
شكوت إليها الشوقَ سرًّا وجهرةً … وبحت بما ألقاهُ من شدَّة الحب
ولمَّا رأيت الصدَّ منها ولم تكن … ترقَّ لشكوى بي شكوتُ إلى ربي[4]

(١) في رواية : ولكن الفراق عظيم ، والبيت سبق وما بعده في ص ٢٤.
(٢) سبقت هذه الأبيات في ص ٤٦ .
(٣) ذكر الأستاذ عبد الستار فراج تنسمت بدل تضمنت .
(٤) ذكر أيضا شكواتي بدل شكوى بي .

وفى آخرها :

إذا كان قربُ الدار يورث حسرةً فلا خير للصب المتيَّم فى القربِ

وذكر له من قصيدة أخرى :

أحبُّكِ يا ليلى محبَّةَ عاشق عليه جميعُ المصعبات تهونُ
أحبك حبا لو تحبِّين مثلَهُ أصابكِ من وجد علىَّ جنونُ
ألا فارحمى صبًّا كئيباً معذَّباً حريقُ الحشا مُضنَى الفؤاد حزينُ [1]
قتيلٌ من الأشواق أمَّا نهارُهُ فباكٍ وأما ليـله فحـزينُ
له عبرةٌ تهمى ونيرانُ قلبه وأجفانه تُذْرى الدموعَ عيون [2]
فيا ليت أن الموت يأتى معجَّلاً على أنَّ عشقَ الغانياتِ فُتونُ [3]

وذكر له من قصيدة أخرى :

أجبتُ بليلى من دعانى تجلُّداً عسى أنَّ كـربى ينجلى فأعودُ
وترجع لى رَوْحُ الحيـاة فإننى بنفسىَ لو عاينتنى لأجـودُ [4]
سقى حىَّ ليلى حين أمست وأصبحت من الأرض منهلٌ الغمامِ رَعودُ
على كلِّ حال إنْ دنتْ أو تباعدتْ أنا كلفٌ صبٌّ بها وعميدُ [5]
فلا البعد يسليني ولا القرب نافعى وليلى طويل والسهادُ شديدُ
يقول لِىَ الواشونَ إذ يرصدوننى ومنهم علينـا أعينٌ ورصودُ :
سلا كُلُّ صبّ حِبَّهُ وحليلَهُ وأنت لليـلى عاشق وودود
فدعنى وما ألقاهُ من ألم الهوى بنار لها بين الضلوع وَقود

---

(١) حريق مرفوع على القطع ، وكذلك ما بعده .

(٢) لعل ـ وأجفانه ـ محرفة عن ـ وأحشائه ـ معطوف على قلبه ، وعيون فاعل تذرى ، وأصله ـ وتذرى ـ بحذف حرف العطف .

(٣) الغانيات الحسان .

(٤) يقال جاد بنفسه سمح بها أن تموت .

(٥) عميد : هده العشق .

أعالج من نفسى بقايا حشاشةٍ على رمقٍ والروحُ فىَّ تجود[1]

وقيل له :

أروحُ ولم أحدثْ لليلى زيارةً لبئسَ إذَنْ راعى المودَّة والوصلِ
ترابٌ لأهلى لا ولا نعمةٌ لهم لشدَّ إذن ما قد تعبَّدنى أهلى[2]

وقيل له :

أرى كُلَّ أرض دستموها وإن مضت لها حِجج يزدادُ طيبا ترابُهَا[3]
ألم تعلمَنْ يارب أنْ رُبَّ دعوة دعوتك فيها مخلصاً لو أجابُهَا
فأقسم لو أنى أرى نسباً لهاً ذئابَ الفلا حنَّتْ إلىَّ ذئابُهَا
لَعَمْرُ أبى ليلى لئن هى أصبحتْ بوادى القُرى ماضرَّ غيرى اغترابها

وقيل له :

لعمرُك ما ميعاد عينك والبكا بدارك إلا أن تهبَّ جنوبُ[4]
يعاشرنى فى الدار من لا أودُّهُ وفى الرحل مهجورٌ إلىَّ حبيبُ
إذا هبَّ عُلْوِىُّ الرياح وجدتُنى كأنى لعلوى الرياح نسيبُ[5]

وقيل له :

يقول العدى لا بارك الله فى العدى قَدَ اقصرَ عن ليلى ورَّثتْ وسائلُهْ[6]
ولو أصبحتْ ليلى تدبُّ على العصا لكان هوى ليلى جديدا أوائلُهْ

وفى الحماسة له ، وفى نسخة لغيره :

أهابكِ إجلالاً وما بكِ قدرة علىَّ ولكنْ ملءُ عينٍ حبيبُهَا
وما هجرتكِ النفسُ أنكَ عندها قليل ولكنْ قلَّ منكِ نصيبُهَا

---

(١) رواه الاستاذ فراج : على رمقى . (٢) تعبدنى أخضعنى .
(٣) رواه الاستاذ فراج: دست فيها ، وحجج سنون .
(٤) الجنوب الريح التى تهب من جهتها .
(٥) نسيب قريب .
(٦) رثت بليت ، ووسائله روابطه بها .

ولكنهم يا أحسنَ الناس أولعُوا … بقولٍ إذا ما جئتُ : هذا حبيبُها

وله :

ونُبِّئْتُ ليلى أرسلتْ بشفاعةٍ … إلىّ فهلاّ نفسُ ليلى شفيعُها
أأكرمُ من ليلى علىّ فتبتغى … به الجاهَ أم كنت امرأ لا أطيعُها

وله :

فيارب إن أهلك ولم تُرْوَ هامتى … بليلى أمُتْ لا قبرَ أعطشُ من قبرى
وإن أكُ عن ليلى سلوت فإنما … تسلَّيت عن يأس ولم أسل عن صبر
وإن يك عن ليلى غنىً وتجلدٌ … فرُبَّ غنى نفسٍ قريبٌ من الفقرِ

وأخبرنا البرهان إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الصالحى ، أنا أبى ، أنا أبو بكر الصامت ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا الزينبى ، أنا التنوخى ، ابن حَيَّوَيْه ، انا ابن المرزبان ، أنا ابن خلف ، أنشدنى أبو عمرو الشيبانى للمجنون :

ذكرتُ غُدَيَّة الصَّدفين ليلى … وكلّ الدهر ذكراها جديدُ(١)
إذا حال الغراب الجوْن دونى … فمنقلبى إلى ليلى بعيدُ(٢)
علىَّ أليَّةٌ إن كنت أدرى … أينقص حبُّ ليلى أم يزيدُ(٣)

وبه إلى ابن خلف ، أنشد له :

يا كَلْبَ ليلى بسقطِ الحى قد درستْ … إلا الثُّمامَ وإلا مَوْقد النارِ(٤)
يرى عظامَك بعد اللحم ذكرُكها … كما تتبّعِ قِدْحَ الشَّوحط البارِى(٥)

---

(١) غدية تصغير غداة وفى رواية:عشية ، والصدفين موضع .

(٢) الجون الأسود .

(٣) ألية يمين .

(٤) الكلب واحده كلبة وهى شجرة شاكة يعلق بها ثوب من يمر بها ،والسقط ماورق من الرمل فى منقطعه ، والثمام نبت بالبادية ، ورواه الأستاذ فراج:يادار ليلى

(٥) القِدح السهم ، والشوحط شجر تتخذ منه السهام .

وقيل له :

وممّا شجاني أنها يومَ أعرضت ... تولّت وماءُ العين فى الجفن حائر
فلما أعادتْ من بعيد بنظرة ... إلىَّ التفاتاً اسلمتْهُ المحاجرُ

وقيل له :

هلِ الوجدُ إلا أنَّ قلبىَ لودنا ... من الجمر قِيدَ الرمح لاحترق الجمرُ (١)
أفى الحقِّ أنى مغرمٌ بكِ هائمٌ ... وأنك لا خلٌّ هواكِ ولا خمرُ
فإن كنت مطبوباً فلا زلت هكذا ... وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحر (٢)

وقيل له :

تشكّى المحبُّون الصبابةَ ليتنى ... تحمّلتُ مايلقَوْنَ من دونهم وحدى
فكانتْ لنفسى لذّةُ الحب كلّها ... فلم يلقها قبلى محبٌّ ولا بعدِى

وقيل له :

ولمّا أبى إلا جماحاً فؤادُهُ ... ولم يَسلُ عن ليلى بمال ولا أهلِ (٣)
تسلّى بأخرى غيرِها فإذ التى ... تسلّى بها تُغْرِى بليلى ولا تُسْلِى

وقيل له :

أحبًّا على حب وأنتِ بخيلةٌ ... وقد زعموا ألاَّ يُحَبَّ بخيلُ
بلى والذى حجَّ الملبونَ بيتَهُ ... ويشفى الجوى بالنَّيل وهوَ قليل

وذكر له من قصيدة :

جُننْتُ بليلى والجنون يسير ... على حبها عقلى الجنون يُطيرُ (٤)
وما حبُّها إلا تمكّن فى الحشا ... وأُورث فى الأكباد منه سعير
وأجرى دموعَ العين نهرا نجيعةً ... وأُهمِى من الدمع المصون غدير (٥)

---

(١) قيد الرمح قدره .

(٢) مطبوبا عليلا .

(٣) جماحا عصيانا

(٤) هذه الأبيات ضعيفة والظاهر أنها من الشعر المنحول

(٥) نجيعة مائلة إلى السود كالدم النجيع

وما لىَ إلا حبُّ ليـلى كفاية  جنونا وإنى فى الغرام أسيرُ
فيارب قرِّب لى اتصال أحبَّتى  ونلنى المنى يا عالما وخبـير
وبرِّدْ لهيبى واطف نيرانَ لوعتى  فعنـدك مازال العسير يسير

وقد ذكر له من قصيدة أخرى :

واخجلتى من وقوف فى بلادهمُ  وقول قائلهم : من أنت يا رجلُ
فقلت : جيرانُ قد ضلَّ الطريق به  فأرشدونى فقد ضاقت بىَ الحيل
قالوا : انصرفْ راجعاً ليس الطريق كذا
كيف انصرافى ولى فى حيكم شُغُلُ

وذكر له من قصيدة أخرى :

أشارتْ بعينها مخافةَ أهلهـا  إشارةَ محزون بغـير تكلمِ
فأيقنت أنَّ الطرفَ قد قال مرحباً  وأهلا وسهلا بالحبيب المتيَّمِ

وذكر له من قصيدة أخرى :

أذلُّ لآل ليلى فى هواها  وأحتمل الأكابر والصغارَا
إذا قـلَّ العزاء فما احتيالى  محبٌّ قد حشا الأحشاءَ نارَا
فلا وصلٌ يبرِدُ نار قلبى  ولا صبر ومن يجد اصطبارَا

وذكر له من قصيدة أخرى :

ألا أيُّها القلبُ المعنَّى المعذَّل  أفقْ عن طلاب البيض إن كنت تعقلُ [1]
ودَعْ ما يلاقى العاشقون من العنا  فإنَّ الهوى إن دام بالصب يقتلُ
أفقْ من غرام أنت فيه مقيَّدٌ  ودمعك فى الخدين منه مسلسلُ
تمرُّ الليـالى والنهاراتُ كلُّها  وأنت بليـلى مستهام موكَّل
تعزَّ بصبر واستعن بجلادة  فصبرك عمَّنْ لا يواتيك أجمل [2]
فيا قلب صبراً كم غرام وفرقة  وتشتيت شمل والفؤادُ منكَّلُ
فحبى لها حبٌّ مقـيم مخلَّـدٌ  بأحشاء قلبى والفـؤاد معلَّلُ

---

(١) المعنى المتعب
(٢) لا يواتيك لا يوافقك

وذكر له من قصيدة أخرى :

ألا يا حمامَ الأيك أجريتَ أدمعى ... وقد ساح فوق الوجنتين غزيرُهَا
وأضرمتَ نيراناً بقلبي وإنّنى ... أكابد أهوالاً طويلاً قصيرهَا
أتندب إلفا قد أذابك بُعْدُهُ ... وتذرى دموعاً سال منك غزيرهَا[1]
لقد هجتَ منى عند نوحك ساكنا ... وأضرمت نارا فى الفؤاد سعيرُهَا
عليكِ سلامٌ لا سلامَ مودّعٍ ... وأنتِ مُنَى نفسى وأنت سرورُهَا
فحبُّكِ فى قلبي مقيم مصوّرٌ ... وحبكِ فى الأحشاء وسط ضميرهَا[2]
فأنتم مُنَىَ قلبي وسؤلى وبغيتى ... وأنتم ضيا عينى اليمين ونورُهَا[3]

وذكر له من قصيدة أخرى :

لَعَمْرِىَ للبيتُ الذى لا أزوره ... أحبُّ وأوفى من بيوتٍ أزورُهَا[4]
فليت الذى دون البيوت تحثُّهُ ... وكان حراماً عند عينىَ نظيرُهَا[5]
ولو أنَّ ليلى بالعرافين زرتها ... ولو كنت وسْطَ النار أو فى سعيرهَا
ولكنَّنى أخشى الوشاة ينحْنَ بى ... وتظهر أسرار خشيت ظهورهَا
وإنى كتومٌ حبها فى ضمائرى ... فيا ليت حبى كامن فى ضميرهَا
وإنىَ ولهان بها ومتيّم ... ونيرانُ قلبي فى الفؤاد سعيرهَا
وقلبىَ فيها مستهام ومغرم ... ونفسى لا تلقى بذاك سرورهَا
إذا جنَّ ليلى جُنَّ عقلى بذكرها ... وعند طلوع الشمس إشراق نورهَا
أكابد أشواقا وأذرفُ أدمعاً ... من العين فوق الخد باد ظهورهَا
وإنى لأهواها وأهوى وصالها ... ولكننى أخشى الغداةَ عشيرها

---

(١) فى الأصل يسيل غزيرها ، زاد الأستاذ فراج قبله قد ليستقيم الوزن

(٢) لا معنى لقوله وسط ضميرها مع ما فيه من مخالفة القافية، والظاهر أنه والبيت الذى قبله والذى بعده من الشعر المنحول لأنها مخالفة لسياق ما قبلها .

(٣) لا يخفى ضعف هذه الابيات والظاهر أنها من الشعر المنحول .

(٤) هذه الابيات من الشعر المنحول وفيها خطأ كثير .

(٥) تحثه تمنع منه ونظيرها مثلها خير ليت .

وذكر له من قصيدة أخرى :

أتضربُ ليلى كلَّما زرتُ دارها ... وما ذنبُ شاة طبَّق الأرض ذيبُها[١]
فكرمُ ليلى مكرمى ومهينها ... مهينى وليلى سؤل روحى وطيبُها
لئن منعوا ليلى السلامَ وضيَّقوا ... عليها لأجلى واستمرَّ رقيبُهَا
أتيتُ ولو أنَّ السيوفَ تنوشنى ... وطفت بيوت الحىِّ حيث أصيبُهَا
فليت الذى أنوى لليلى يصيبنى ... وليت الذى تنوى لنا لا يصيبُهَا
فلا تعذلونى فى الخطار بمهجتى ... هوى كل نفس أين حلَّ حبيبُهَا[٢]

وذكر له من قصيدة أخرى :

بحبك يا ليلى قدَ اصبحتُ شهرةً ... وكلٌّ بما ألقاه عندك يفهمُ
صريع من الحب المبرِّح والجوى ... وأىُّ فتىً من لوعة البين يسلمُ
وما هى إلا حسرة بعد نظرة ... أثارت لهيبا فى الحشاشة يُضرمُ
ولوعة بَينٍ أعدمتنى تجلُّدى ... وصرت بها يا النَّيلَ فيك متيَّمُ
أراعى نجومَ الليل سهرانَ باكياً ... وما حال صبٍّ صبُّ دمعه دمُ[٣]
فلا تقتلينى بالصُّدود وبالقلَى ... فمثلك يا ليلى يرقُّ ويرحمُ
فوالله إنى فيك عانٍ وعاشق ... أذوب غراما فيك والحبَّ أكتمُ
مخافة واشٍ أو رقيبٍ وحاسد ... يحدِّث ما لا كانت الناسُ تعلمُ
فيرثى لمن أضحى أسيرَ صبابةٍ ... كئيبٌ معنًّى هائم القلب مغرمُ[٤]

وذكر له من قصيدة أخرى :

إذا ما لحانى العاذلون بحبها ... أبتْ كبدٌ مما تجنُّ صَدوعُ[٥]

---

(١) طبق الأرض عمها ، وذيبها مخفف ذئب

(٢) الخطار المخاطرة أى الوقوع فى الخطر

(٣) صب دمعه مصبوبه

(٤) كئيب وما بعده صفات لأسير على الرفع بالقطع والتقدير هو كئيب

(٥) عما تجن تستر متعلق بأبت ، وصدوع صفة لكبد ، يعنى أنها تفتتت فصارت صدوعا والصدع الشق .

أحنُ إليها كل وقت وساعة ‌‌ وتجرى دموعى بعْـدُ دمع نجيعُ[١]
وكيف أطيق الصدَّ عنها وحبُّها ‌‌ يؤرقنى واللائمون هجــوعُ
ندمت على ما كان منى طِلابُهُ ‌‌ كما يندم المغبون حين يبيع

وله على ما ذكره جماعة ، وذكره بعضهم لتوبة فى ليلى الأخيلية ، وقد أخبرت هى أنه قاله فيها ، وهو :

لـكل لقـاء نلتقيه بشاشــةٌ ‌‌ وإن كان حولا كل يوم أزورهَـا
وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعتْ ‌‌ فقد رابنى منها الغداةَ سفورُهَـا
وقد رابنى منها صدودٌ رأيته ‌‌ وإعراضها عن جانبى وبُسُـورُهَا[٢]
ألاَ إنَّ ليلى قد أجدَّ بكورُهَـا ‌‌ ومرَّت غداةَ السبت للبين عيرَها[٣]
فما أمُّ سوداء المحاجـر مُطـفلُ ‌‌ بأحسن منها مقلتين تديرُهَـا[٤]
وكنت إذا ما جئت قلت لها : اسلمى ‌‌ فهل ترى فى قولى اسلمى ما يضيرها[٥]

وقال فيهـا :

وأشرف بالْقُورِ اليفاعِ لعلَّنى ‌‌ أرى نار ليلى أو يرانى بصيرُهَـا[٦]
حمامةَ بطن الواديَين ترنَّمى ‌‌ سقاك من الغُرّ العـذابِ مطيرُهَـا
أبينى لنا لا زال ريشك ناعما ‌‌ ولا زلتِ فى خضراء صفرٍ بريرُها[٧]

وله قصائد كثيرة يطول ذكرها ، وشعره من أعلى طبقات الشعر وأفحلها

---

(١) دمع نجيع أسود كالدم بدل من دموعى
(٢) بسورها تقطيب وجهها وهو أمارة الغضب
(٣) أجد بكورها تحقق والبكور السفر بكرة
(٤) فى رواية فما أسود ألمى المحاجر . والمطفل من طفل كشرف رخص ونعم والمراد ظبية لها هذه الصفات
(٥) فى رواية ـ فهل كان ـ وهى أصح فى الوزن
(٦) القور الآكام جمع قارة ، وروى بالقوز بالزاى
(٧) فى رواية ـ دان بريرها ـ وهو أول ما يظهر من ثمر الأراك

وأقواها، وكان قيس هذا فى زمن مروان وابنه عبد الملك ، وقد ورد عنه من الأخبار والحكايات ما لا يحدّ ولا يوصف ، وغالبه فيه كذب تركناه لذلك ، وإنما ذكرنا منه مانقله الأئمة الحفّاظ العدول الثقات من العلماء المعتبرين ، وآخر من نقله شيخنا المحدث أبو المحاسن بن عبد الهادى فى كتابه: نزهة المسامر فى ذكر بعض أخبار مجنون بنى عامر .

نكتة : ذكر الغزالى فى كتابه — الإحياء — قال : رؤى مجنون بنى عامر فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى وجعلنى حُجّة على المحبين .

ويعضد ذلك ما رأينا فى كتاب ـ روح الروح ـ لأبى الفضل السهلكى، قال : سمعت أبا على الحسن بن أحمد المعبر يقول : سمعت أبا القاسم بن محمد ابن حبيب يحكى عمن حكى عن الجُنَيد رضى الله عنه أنه كان يقول: مجنون بنى عامر كان من أولياء الله عزّ وجلّ ، فستر شأنه بجنونه . أ هـ[1] .

ومن هنا أخذ الشيخ محي الدين بن العربى مانقلناه عنه أول هذا التعليق.

## خاتمة

## فى التلويح بذكر ليلى الأخيلية وما جرى لها مع توبة

فنقول : هو توبة بن حُمَيّر بن حزن[2] بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن نُفَيل . وهى : ليلى بنت عبد الله بن الرحّال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيل. وكانت من الشعراء المتقدمات فى الشعر من شعراء الإسلام، وكان توبة يهواها .

قال ابن الأنبارى : حدثنى أبى ، ثنا أحمد بن عبيد ، عن أبى الحسن المدائنى ، عمن حدثه عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاصى قال :

كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد إذا دخل على الحجّاج ، فدخل يوما

(١) هذه أقوال ضعيفة فيه

(١) فى الأغانى حزم بالميم

فدخلت معه وليس عند الحجاج غير عنبسة ، فقعدت فجاء الحاجب فقال : امرأة بالباب ، فقال الحجاج : أدخلها . فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت إليها فإذا امرأة قد أسنَّت ، حسنة الخلق ، ومعها جاريتان معها ، وإذا هي ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلى ، ما أتانى بك ؟ فقالت : إخلاف النجوم ، قلة الغيوم ، وكَلَبُ البرد[١] وشدة الجَهْد ، وكنت لنا بعد الله الرّفد .

فقال لها : صفى لنا الفجاج . فقالت : الفجاج مغبرّة ، والأرض مقشعرة والمبرك معتل ، وذو العيال مختلّ ، والهالك المقل ، والناس مُسْنتون[٢] رحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون مجحفة لم تدع لنا هَبْعاً ولا رَبْعاً[٣] ولا عافطة ولا نافطة[٤] أذهبت الأموال ، وفرّقت الرجال ، وأهلكت العيال ، ثم قالت : إنى قلت فى الأمير قولا . قال : هات . فأنشأت تقول:

أحجاج لا يُفْلَلْ سلاحك إنما الـ ... منايا بكف الله حيث يراها[٥]
أحجاج لا تعط العصاةَ مُناهمُ ... ولا الله يعطى للعصاة مناها
إذا هبط الحجاج أرضا مريضةً ... تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداءِ العُضالِ الذى بها ... غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها[٦]
سقاها فروّاها بشرب سجالةٍ ... دماءَ رجال حيث قاد حماها

---

(١) كلب البرد شدته

(٢) مجدبون

(٣) هيعا صوتا تعنى صوت الإبل ونحوها من إبلهم ، والربع فضل كل شىء كريع الدقيق وغيره

(٤) العافطة النعجة ، والنافطة الماعزة

(٥) لا يفلل سلاحك لا ينثلم ، والجملة دعائية .

(٦) أى من دم الأعداء ، والقناة الرمح .

إذا سمع الحجاج رزَّ كتيبةٍ أعدَّ لها قبل النزول قِراهَا[١]
أعـــدَّ لها مسمومةً فارسيةً بأيدى رجال يحلبون صَراها[٢]
فما ولد الأبكارُ والـعُـونُ مثلهُ بنجد ولا أرض يجفُّ ثراها[٣]

قال : فلما قالت هذا قال الحجاج : قاتلها الله ؟ ما أصاب صفتى شاعر منذ دخلت العراق غيرها . ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال : والله إنى لأعد الأمر عسى ألاَّ يكونَ أبدا . ثم التفت إليها فقال : حَسْبك . قالت : إنى قد قلت أكثر من هذا . قال : حسبك ويْحك حسبك . ثم قال : ياغلام اذهب إلى فلان فقل له : اقطع لسانها قال : فأمر بإحضار الحجّام . فالتفتت إليه فقالت : ثـكلتك أمك ، أماسمعت ما قال ، إنما أمرك أن تقطع بالصلة ، فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضبا ، وهمَّ أن يقطع لسانه ثم قال : ارُددها .

فلما دخلت عليه قالت : كاد والله يقطع مِقْولى[٤] . ثم أنشأت تقول :
أحجاج أنت الذى ما فوقه أحد إلا الخليفةُ والمستغفَرُ الصمدُ
أحجاج أنت شهاب الحرب إن لقحتْ وأنت للناس نجم فى الدُّجى يقدُ[٥]

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلا أنا لم نر امرأة قطُّ أفصح لسانا ولا أحسن مجاودة ولا أملح وجها ولا أرصن شعرا منها . قال : هذه ليلى الأخيلية التى مات توبة الخفاجى من حبها .

ثم التفت إليها فقال : أنشدينا يا ليلى بعض ما قاله فيك توبة . فقالت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

---

(١) الرز الصوت ، والقرى فى الأصل ما يقدم للضيف .
(٢) الصرى فى الأصل اللبن المتغير ، وفى رواية : يحسنون غذاها .
(٣) ثراها ترابها (٤) لسانى .
(٥) لقحت الحرب هاجت بعد سكون

وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها | وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها | وجاد لها دمع من العين سافح
وأغبط من ليلى بمالا أناله | ألا كل ما قرت به العين صالح
ولو أن ليلى الأخيلية سلمت | علىّ ودونى جندل وصفائح (١)
لسلمت تسليم البشاشه أو زقى | إليها صدى من جانب القبر صائح (٢)

فقال لها : زيدينا من شعره . فقالت : وهو الذى يقول :

حمامة بطن الواديين ترنمى | سقاك من الغر الغوادى مطيرها (٣)
أبينى لنا لازال ريشك ناعماً | ولا زلت فى خضراء غض نضيرها
وأشرف بالقور اليفاع لعلنى | أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت | فقد رابنى منها الغداة سفورها
يقول رجال : لا يضيرك نأيها | بلى كل ما شف النفوس يضيرها
بلى قد يضير العين إن كثر البكا | ويمنع منها نورها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر | لنفسى تقاها أو عليها فجورها (٤)

فقال لها الحجاج : يا ليلى ، ما رابه من سفورك ؟ قالت : أيها الأمير : كان يلم بى كثيرا ، فأرسل إلىّ يوما إنى آتيك ، وفطن الحى فأرصدوا له ، فلما أتانى أسفرت له ، فعلم أن ذلك لشر ، فلم يزد على التسليم والرجوع .

فقال الحجاج : لله درك ؟ فهل رأيت منه شيئا تكرهينه ؟ فقالت لا والله الذى أسأله أن يصلحك ، غير أنه قال لى مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول :

---

(١) الجندل الصخر العظيم ، والصفائح جمع صفيحة وهى الحجر العريض .
(٢) الصدى نوع من البوم يأوى الأماكن الخربة .
(٣) الغر السحب البيض ، والغوادى التى تأتى فى أول النهار ، وقد سبقت هذه الأبيات منسوبة للمجنون . فى ص ١٠٥
(٤) أو فى البيت بمعنى الواو .

وذى حاجة قلنا له :لا تَبُح بها فليس إليهـا ما حييتُ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونَه وأنت لأخرى فارغ وخليلُ

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئا حتى فرّق الموت بينى وبينه .

قال : ثم هيه[1] قالت : ثم لم يلبث أن خرج فى غزاة له وأوصى ابن عمه: إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عُقَيل فناد بأعلى صوتك :

عفى الله عنها هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسرى إلىَّ خيالُـهَا[2]

فخرجت وأنا أقول :

وعنّ عفى ربىٌّ وأحسن حالَهُ فعزٌّ علينا حاجةٌ لا ينالُـهَا

قال : ثم هيه . قالت : ثم لم يلبث أن مات فأتانا نعيه . قال. فأنشدينا بعض مراثيك ، فأنشدت :

لتبكِ العذارى من خفاجة نسوةٌ بماء شؤون العـبرة المتحدّرِ[3]

قال : وأنشدينا :

كأنْ فتى الفتيان توبة لم ينخْ قلائصَ يفحصْنَ الحصى بالكراكرِ

فلما فرغتْ من القصيدة قال محصن الفقعسى ـ وكان من جلساء الحجاج ـ من هذا الذى تقول هذا فيه ، فوالله إنى لأظنها كاذبة . فنظرت إليه ثم قالت: أيها الأمير ، إن هذا القائل لو رأى توبة لسرّه ألاّ يكونَ فى داره عذراء إلا وهى حامل منه .

فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنيا . ثم قال لها: سلى يا ليلى تُعْطَىْ . قالت : أعْطِ فمثلك أعطى فأحسن . قال : لك عشرون . قالت : زد فمثلك زادفأجمل . قال : لك أربعون . قالت : زدفمثلك

---

(١) هيه زيدى .

(٢) لا يسرى لا يأتى ليلا .

(٣) سيأتى هذا البيت والذى بعده فى القصائد الآتية من مراثيها فيه .

زاد فأفضل : قال : لك ستون . قالت : زد فتلك زاد فأكمل . قال : لك ثمانون . قالت : زد فتلك زاد فأتم . قال : لك مائة . واعلمى يا ليلى أنها غنم . قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جودا وأمجد مجدا وأورى زندا من أن تجعلها غنما . قال : فما هى ويحك يا ليلى ؟ قالت : مائة ناقة برعاتها . فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : نعم ، تدفع إلىّ النابغة الجعدى فى قران[1] . قال : قد فعلت . وقد كان يهجوها وتهجوه ، فبلغ النابغة ذلك فخرج هاربا عائذا بعبد الملك ، فاتبعته إلى الشام ، فهرب إلى قُتَيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته من الشام إلى خراسان على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة بِقَوْمس ، ويقال بحلوان .

وقال عبد الملك بن مروان لها : بالله هل كان بينك وبين توبة سوء قطّ ؟ قالت : لا والذى ذهب بنفسه وهو قادر على ذهاب نفسى ، ما كان بينى وبينه سوء قط ، إلا أنه قدم من سفر فصافحته فغمز يدى ، فظننت أنه مجتمع لبعض الأمر . قال : فما معنى قولك :

وذى حاجةٍ قلنا له : لا تَبُحْ بها فليس إليها ما حييتُ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليل[2]

قالت : لا والذى ذهب بنفسه ما كلمنى بسوء قط حتى فرّق بينى وبينه الموت .

وقيل لها : هل كان بينك وبين توبة ما يكرهه الله ؟ قالت : إذن أكون منسلخة من دينى إن كنت ارتكبت عظيما ثم أتبعه الكذب .

وقال أبو الفرج بن الجَوْزى : أنا ابن ناصر ، أنا أبو الحسين بن

---

(١) القران الحبل يشد به الأسير

(٢) تعنى بالصاحب زوجها ، وفى قولها له ـ وأنت لأخرى صاحب ـ نظر لأنه لم يكن صاحبا لغيرها ، ولعلها تقصد زوجة له .

عبد الجبار ، ثنا أبو الطيب الطبرى ، ثنا القاضى أبو الفرج بن طراز ، ثنا أبو أحمد الخاقانى ، أنا محمد بن محمد بن الحَكَم ، حدثنى إبراهيم بن زيد النيسابورى : أن ليلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت[1] ثم إن زوجها بعد ذلك مَرّ بقبر توبة وليلى معه ، فقال لها : يا ليلى ، هل تعرفين هذا القبر ؟ فقالت : لا . فقال : هذا قبر توبة ، فسلمى عليه . فقالت : امض لشأنك ، فما تريد من توبة وقد بليت عظامه ؟ قال : أريد تكذيبه . أليس هو الذى يقول :

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمتْ ... علىّ ودونى جندل وصفائح
لسلّمتُ تسليم البشاشة أو زَقَى ... إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ[2]

فوالله لا برحت أو تسلّمى عليه . فقالت : السلام عليك يا توبة ، ورحمك الله وبارك لك فيما صرت إليه . فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشهقت شهقة فماتت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة ، فطالتا والتفّتا كل واحدة على الأخرى ، وقد صدّق الله شعره . والصدى طائر معروف شبيه بالباشق .

وقيل إن توبة قتل ولم يمت ، ويصدق ذلك قولها :

فإن تكنِ القتلى بَوَاءً فإنكم ... فتى مَا قتلتم آلَ عوف بن عامرِ
فتى كان أحيى من فتاة حَيِيّة ... وأشجعَ من ليث بخفّانَ خادرِ

البواء : التكافؤ ، يقال — ما فلان لفلان بواء — أى ما هو له بكفء أن يقتل به ، وما فى قوله — فتى ما قتلتم — صلة ، وآل عوف نداء . وخفان موضع مشهور ، وخادر مقيم فى مكمنه .

وقال أبو الفرج الأصبهانى : أخبرنى الحسن بن على الخفّاف ، ثنا عبد الله بن عمرو . ثنا محمد بن على ، حدثنى أبى عن أبى عبيدة ، حدثنى أنيس بن عمرو ، قال :

---

(١) هذا زوج آخر غير الذى سبق فى قولها لنا صاحب إلخ.
(٢) الصدى نوع من البوم يأوى إلى الاماكن الخربة .

كان توبة بن الحُمَيِّر أحد بنى الأسدية[١] يتعشق ليلى بنت عبد الله بن الرحّال ، ويقول فيها الشعر . فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها فى بنى الأدلع ، فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها فإذا هى سافرة ، ولم ير منها بشاشة ، فعلم أن ذلك لبعضٍ ما كان ، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بنى الأدلع أنه أتاها وانصرف فتبعوه ففاتهم ، فقال فى ذلك :

نأتْك بليلى دارُها ما تزورَهَا     وشطَّتْ نواها واستمرَّ مريرُهَا[٢]

إلى أن قال :

وكنت إذا ما زرتُ ليلى تبرقعت     فقد رابنى منها الغداةَ سفورُهَا

قال أبو الفرج : وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز ، ثنا عمر بن شَبَّة قال :

كان توبة إذا أتى ليلى خرجت إليه فى برقع ، فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان ، فأباحهم دمه إن أتاهم ، فكمنوا له فى الموضع الذى يلقاها فيه ، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست فى طريقه ، فلما جاء رآها سافرة ففطن لما أرادت ، وعلم أنه قد رصد وأنها سفرت لذلك تحذره ، فركض فرسه فنجا ، وذلك قوله :

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعتْ     فقد رابنى منها الغداةَ سفورُهَا

قال أبو عبيدة : وحدثنى غير أنيس أنه يكثر زيارتها فعاتبه قومها فلم يعبأ ، وشكوه إلى قومه فلم يقلع ، فتظلَّموا منه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم ، وعلمت ليلى بذلك ، وجاءها زوجها وكان غيوراً ، فحلف إن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنَّها ، وإن أنذرته ليقتلنها ، قالت : وكنت أعرف الوجه الذى يجيء منه ، فرصدوه بموضع ورصدته بآخر ، فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين ، فسفرت وألقيت البرقع على رأسى[٣] فلما رأى ذلك أنكره

---

(١) هى عامرة بنت والبة .

(٢) شطت نواها أفرط بعدها ، واستمر مريرها : المرير من الحبال ما اشتد وهو استعارة لاشتداد أمرها ، أو المرير العزيمة .

(٣) فى الأغانى : عن رأسى .

فركب راحلته ومضى ففاتهم .

وقال أبو الفرج : أخبرنى الحسن بن على ، ثنا عبد الله بن أبى سعد ، حدثنى أحمد بن معاوية ، حدثنى أبو زياد الكلابى ، قال :

خرج رجل من بنى كلاب ثم من بنى الصَّحمة يبتغى إبلاله حتى أوحش وأرمل ، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بواد فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف ، فأبصر امرأة وصبيانا يدورون بالخباء ، فلم يكلمه أحد حتى كان بعد هدأة من الليل[1] فسمع جرجرات إبل رائحة[2] وسمع فيها صوت رجل حتى جاء بها فأناخها على البيت ثم تقدم ، فسمع الرجل يناجى المرأة. فقال : ماهذا السَّواد حذاءك؟ فقالت : راكب أناخ بنا حين غابت الشمس ولم نكلمه . فقال : كذبت ، ما هو إلا بعض خلاّنك ونهض يضربها وهى تناشده ، قال الرجل : فسمعته يقول : والله لا أترك ضربك حتى يأتى ضيفك هذا فيغيثك . فلما عيل صبرها غوَّثت[3] وقالت : ياصاحب البعير، يا رجل . فأخذ هراوته ثم أقبل يحضر[4] حتى أتاه وهو يضربها فضربه ثلاث ضربات أو أربعا ، ثم أدركته المرأة فقالت : يا عبد الله مالك ولنا ؟ اعزبْ عنا نفسك . فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها ، وقد ظن أنه قتل الرجل ، وهو لا يدرى من الرجل[5] ؟ حتى أصبح فى أخبية وسنة من الناس[6] ورأى غنما فيها أمة مولدَّة ، فسألها عن أشياء حتى بلغ

---

(١) هدأة من الليل : هدوء منه ، وهو من أول الليل إلى الثلث

(٢) راجعة آخر النهار من مراعيها .

(٣) غوثت استغاثت .

(٤) يحضر يعدو ، وفى الأغانى يحفز .

(٥) فى الأغانى وهو لا يدرى من الحى بعد .

(٦) فى الأغانى وأخبية من الناس ، وليس فيه لفظ سنة ، ولعلها محرفة عن ثبة بمعنى جمع .

به الذكر [١] فقال : اخبريني عن أناس وجدتهم بِشِعْب كذا وكذا . فضحكت وقالت : إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالم . فقال : وما ذاك ؟ لله بلادك ، فوالله ما أنا به عالم . قالت : ذاك خباء ليلى الأخيلية ، وهي أحسن الناس وجها ، وزوجها رجل غيور ، فهو يعزب بها عن الناس ، فلا يحل بها معهم ، والله ما يقربها احد ولا يتضيـّفها ، فكيف نزلت أنت بها ؟ قال : إنما مررت فنظرت إلى الخباء ولم أقربه — وكتمها الأمر — وتحدّث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يدر من هو ؟ فلما أخبر باسم المرأة أقرّ على نفسه بشعر دلّ فيه على نفسه ، فقال :

ألاَ يا ليلَ أختَ بني عُقَيلٍ  أنا الصَّحميُّ إن لم تعرفيني
دَعَتْني دعوةً فجزتُ عنهاَ  بصَكّات رفعت بها يميني
فإنْ تكُ غيرة أبريك منها  وإن تك قد جننتَ فذقْ جنوني [٢]

قال أبو الفرج : وأخبرني الحسن ثنا ابن أبي سعد ، حدثني أحمد بن راشد [٣] حدثني أيوب بن عمرو ، عن رجل من بني عامر يقال له ورقاء . قال :

سمعت الحجاج يقول لليلى الأخيلية : إن شبابك قد مضى فولىَّ ، واضمحلّ أمرك وأمر توبة ، فأقسم عليك إلاّ صدقتني : هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط ؟ قالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلت له :

وذي حاجة قلنا له : لا تُبِحْ بها  فليس إليها ما حييتُ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَهُ  وأنت لأخرى فارغ وخليل [٤]

وروى — صاحب وخليل — فلا والله ما سمعت منه بعدها ريبة حتى فرّق بيننا الموت .

---

(١) في الأغاني : حتى بلغ بها الذكر
(٢) في الأغاني : فذا جنوني
(٣) في الأغاني : رشيد
(٤) قيل إنه حليل بالحاء أي زوج

قال لها الحجاج : ماكان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجّه صاحبا له إلى حاضرنا فقال :

إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عُقيل فاعل شُرفا ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً ... من الدهر لا يسرى إلىّ خيالُها

فلما فعل ذلك الرجل عرفت المعنى فقلت له .

وعنه عفا ربى وأحسن حفظَهُ ... عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

وذكر بعضهم أبياته الأولى بزيادة : وهى .

حمامةَ بطن الواديَين ترنّمى ... سقاك من الغرّ العذاب مطيرُها[1]

أبينى لنا لازال فيئك ناعماً ... ولازال فى خضراءَ دان نويرها[2]

وأشرفُ بالقُورِ اليفاعَ لعلّنى ... أرى نارَ ليلى ليلى أو يرانى بصيرُها

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداةَ سفورُها

علىّ دماءُ البُدْنِ إن كان بعلها ... يرى لِىَ ذنباً غير أنى أزورُها

وأنى إذا مازرت قلت لها : أسلمى ... وما كان فى قول اسلمى ما يضيرُها

وغيرّنى إن كنت لمّا تغيّرى ... هواجرُ تكتنّينَها وأسيرُها

وأدماءَ من سرّ المهارى كأنها ... مهاةُ صوار غير مامُسّ كورُها[3]

قطعتُ بها أجوازَ كل تنُوفة ... مخوف رداها كلما استنّ مورُها[4]

ترى ضعفاءَ القوم فيها كأنها ... دعاميص ماء نشّ عنها غديرُها[5]

---

(١) سبق بعض هذه الأبيات منسوبا للمجنون

(٢) النوء القطعة من الطير ، وروى كما سبق : لازال ريشك

(٣) فى الأغانى من حر المهارى ، ومهاة صحار ، والأدمة فى الإبل لون مشرب سوادا أو بياضا ، وسر الشىء أفضله ، وحره خياره ، والمهاة البقرة الوحشية ، وكورها رحلها

(٤) المور الطريق الموطوء المستوى

(٥) دعاميص جمع دعموص دود أسود

قوله ـ من الغر العذاب ـ روى : من الغر الغوادى ، و ـ لا زال فيئك ـ روى : ريشك . و ـ فى خضراء ـ المراد بها الروضة ، و ـ دان نويرها ـ أى نَوْرهَا[١] ، وروى : غض نضيرها ، و ـ الغور ـ ماوراء تهامة ، وروى : بالقور . وهى الجبال ، و ـ اليفاع ـ أى العالية ، و ـ على دماء البدن ـ أى التى تساق فتذبح بمنى ، وقوله ـ وأنى إذا ما زرت قلت لها اسلمى ـ روى : وأنى إذا ما زرتها قلت يا اسلمى . و ـ يضيرها ـ يضرها ، وقوله ـ وغيرنى إن كنت لما تغيرى ـ أى إن كنت لا تتغيرين ، و ـ هواجر ـ شدة الحر ، و ـ تكتنينها ـ أى تجلسها فى كن وهو المكان المتخذ يكنُّ من الحر والبرد قال الله عزّ وجلّ فى جمعه ( وتتخذون من الجبال أكنانا ) وقال عمر رضى الله عنه : أكنّ الناس ، وإياك أن تحمّر أو تصفّر فتفتن الناس. والمعنى: غيّرنى إن كنت أنت لا تتغيرين كثرة ما أسير إليك فى شدة الهواجر والحر وأنت مكننة جالسة، و ـ الأدماء ـ كثيرة الدم أو أن لونها آدم ، وهو البياض المائل إلى السمرة ، وهو أحسن الألوان ، وكذا كان لون النبى صلى الله عليه وسلم ، و ـ سر ـ الشىء وسطه ، و ـ المهارى ـ جمع مهرة ، وأحسن ما تكون الخيل حال كونها مهرة ، وإذا وصفت المرأة بالحسن قيل كأنها مهرة ، و ـ المهاة ـ البقرة الوحشية ، وجمعها مَهاً ، وإذا وصفت المرأة بالحسن قيل كأنها المها ، و ـ الصوار ـ وعاء المسك ، وهو أيضا القطيع من البقر ، و ـ الأجواز ـ جمع جوز وهو سط الشىء ، و ـ التنوفة ـ المفازة ، والمعنى : قطعت بها وسط كل مفازة ، و ـ الدعاميص ـ جمع دعموص دويبّة تغوص فى الماء ، و ـ نش ـ الغدير ينش نشيشا أى أخذ ماؤه فى النُّضوب .

قال أبو الفرج : وحدثنى أحمد بن عبد الله ، حدثنى محمد بن يعقوب ، حدثنى من أنشده الأصمعى لتوبة :

علىّ دماء البُدْنِ إن كان زوجها    يرى لِىَ ذنباً غير أنى أزورُهَا[٢]

---

(١) وروى بريرها

(٢) البدن جمع بدنة وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة

وأنى إذا ما زرت قلت لها : اسلمى     وما كان فى قولى اسلمى ما يضيرُ هَـا

فقال الأصمعى : شكوى مظلوم ، وفعل ظالم

وقال ابن دُرَيد : أنا أبو حاتم السجستانى ، عن أبى عبيدة ، قال :

كان الذى هاج مقتل توبة بن الحُمَـيِّر أنه كان بينه وبين بنى عوف بن عامر ِلحَنَاء ، ثم إن توبة شهد بنى خفاجة وبنى عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العُـقيلى فى بعض أمورهم ، قال : وكان مروان بن الحـكم يومئذ أميرا على المدينة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فاستعمله على صدقات بنى عامر ، قال : فوثب ثور بن أبى سمعان على توبة فضربه بجُـرْز [١] وعلى توبة الدرع والبيضة ، فجرح أنف البيضة وجه توبة ، فأمر همام بثور بن أبى سمعان فأقعد بين يدى توبة ، فقال : خذ بحقك يا توبة : فقال له توبة : ما كان هذا إلا عن أمرك ، وما كان ليجترىء على عند غيرك . وأم همام طوبانة بنت حزن بن عامر [٢] فاتهمه توبة لذلك ، فانصرف ولم يقتصَّ منه .

فـكثوا غير كثير ، ثم إن توبة بلغه أن ثور بن أبى سمعان خرج فى نفر من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له هوكا [٣] يريدون ماء لهم يقال له حَزِين بتثليث [٤] وبينهما فلاة ، فاتبعه توبة فى أناس من أصحابه ، فسأل عنهم وبحث حتى ذكر له أنه عند رجل من بنى عامر بن عُـقيل يقال له سارية ابن عـويمر بن عدى [٥] وكان صديقا لتوبة ، فقال توبة : لا نطرقهم [٦] عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه . فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون ، فقال

---

(١) الجرز عمود من حديد

(٢) فى الاغانى : صوبانة بنت جون بن عامر

(٣) فى الأغانى : قوباء ولم أعثر عليهما ، ولعله محرف عن قليب كزبير ماء لبنى عامر

(٤) تثليث موضع

(٥) فى الأغانى : عمير بن أبى عدى

(٦) فى الأغانى : لا نطرتهم

لهم سارية : ادَّرعوا الليل ، فإنى لا آمن توبة عليكم الليلة ، فإنه لا ينام عن طلبكم . فلما تعشَّوا ادَّرعوا الليل فى الفلاة ، وأقعد له توبة رجلين فغفل صاحبا توبة ، فلما ذهب الليل فزع توبة وقال : اغتررت إلى رجلين ما صنعا شيئا ، وإنى لأعلم أنهم لم يصبحوا بهذه البلاد . فاستقصى آثارهم(١) فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء فى مزادتيه ، ثم اتبعا أثرى ؛ فإن خفى عليكما أن تدركانى فإنى سأوقد لكما إن أمسيتما دونى . وخرج توبة فى أثر القوم مسرعا حتى إذا انتصف النهار جاوزعلما يقال لها فَيْـحِ فى الغائط ، فقال لأصحابه : هل ترون سَمُرات إلى جنب قرون بقر ـ وقرون بقر ظِلُّ سَمرٍ كان هنا لك ـ فإن بظل ذلك مقيلا لم يتجاوزوه ، فليس لهم وراءه ظل : فنظروا فقال قائل : نرى رجلا يقود بعيرا له كأنه يقوده لصيد . قال توبة : ذاك ابن الحبترية . قال : وبنو الحبترية ناس من مذحج ، فركض عبد اللهَ أخو توبة فرسه نحوه ، فرماه ابن الحبترية فعقر فرس عبد الله أخى توبة، وافتلَّ السهم ساق عبد الله(٢) وانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذرهم ، فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة ، وغشيهم توبة ومن معه ، فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات فى نحورهم ، وأخذوا سلاحهم ودرقهم ، وزحف إليهم توبة ، فارتمى القوم لا يغنى أحد منهم شيئا فى أحد ، ثم إن توبة ـ وكان يترس له أخوه عبد الله(٣) قال : يا أخى لا تترس لى ، فإنى رأيت ثورا كثيرا ما يرفع الترس ، عسى أن أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه . قال : ففعل فرماه توبه على حلمة ثديه فصرعه ، وجاء القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى ، وهم سبعة أنفس .

---

(١) فى الأغانى · فاقتص

(٢) افتله ثلمه ، وفى الأغانى ـــ اختل ـــ أصابه ونفذ فيه

(٣) أى يستره بالترس، والترس صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه

ثم إن ثورا قال: انزعوا هذا السهم عنى. قال توبة: ماوضعناه لننزعه.

فقال أصحاب توبة: انجُ بنا فقد أخذنا ثأرنا[١] ونلقى راويتنا، فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء، وقد شرقنا عطشا. فقال توبة: فكيف بهؤلاء القوم الذين لا يمنعون ولا يمتنعون؟ قالوا: أبعدهم الله. قال توبة: ما أنا بفاعل، وما هم إلا عشيرتكم، ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماء وأغسل عنهم دماءهم، وأخيل عليهم من السباع والطير لا تأكلهم، حتى أوذن قومهم بهم.

فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل، فسقاهم من الماء، وغسل عنهم الدماء، وجعل لهم فى أساقيهم ماء، ثم خيَّل لهم بالثياب على الشجر، ومضى حتى طرق من الليل سارية بن عويمر العُقيلى، فقال: إنا قد تركنا رهطا من قومكم بسمراتٍ من قرون بقر فأدركوهم، فمن كان حيًّا فداووه ومن كان ميتا فادفنوه. ثم انصرف فلحق بقومه، وصبحَّ سارية القوم فاحتملهم، وقد مات ثور بن أبى سمعان ولم يمت غيره، فلم يزل توبة خائفا.

قال: وكان السليل بن ثور المقتول راميا كثير الشر والبغى، فأخبر بِغِرَّة من توبة وهم بقنة من قنان الشرف[٢] يقال لها قنة بنى الحُمَيِّر، فركب فى نحو ثلاثين فارسا حتى طرقه، فترقىَّ توبة ورجل من إخوته فى الجبل. قال: فأحاطوا بالبيوت فناداهم وهو فى الجبل: هأنذا من تبغون، فاجتنبوا البيوت.

فقالوا: إنكم لن تستطيعوه وهو فى الجبل، ولكن خذوا ما استطفَّ لكم من ماله[٣] فأخذوا أفراسا له ولإخوته وانصرفوا.

ثم إن توبة غزاهم فمرَّ على أفلت بن حزن بن معاوية بن خفاجة، فقال:

---

(١) فى الأغانى: نأخذ آثارنا

(٢) القنة الجبل الصغير، والشرف موضع

(٣) ما أمكن ودنا منه، وفى الأغانى: ما استدف.

يا توبة ، أين تريد ؟ قال . أريد الصبيان من بنى عوف بن عُقَيل . قال : لا تفعل ، فإن القوم قاتلوك ، فهلا .قال : لا أقلع عنهم ماعشت . ثم ضرب بطن فرسه فاستمر به يحصر[1] وهو يرتجز ويقول :

* ينجو إذا قيل له مَعَـاط[2] *

* ينجـــو بهم من خلل الأمشاطِ *

حتى انتهى إلى موضع يقال له حجر الراشدة ظليل ، أسفله كالعمود ، وأعلاه منتشر ، فاستظلّ فيه وهو وأصحابه ، حتى إذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبل هُبيرة بن السمين أخى بنى عوف بن عقيل واردة ماء لهم يقال له طالوب ، فأخذوها وخلّى طريق راعيها وقال له : إذا أتيت شرم البقرة[3] مولاك فأخبره أن توبة أخذ الإبل ، ثم انصرف توبة يَطرد الإبل يومه ، فلما ورد العبد على مولاه فأخبره نادى فى بنى عوف وقال : حتى متى هذا ؟ فتعاقد وابينهم نحوا من ثلاثين فارسا ، ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من خثعم من بنى الهدة ـ وكانت فى بنى عوف وكانت تؤخِّذ[4] ـ فقالت : أرونى أثره . فأخذت من ترابه فسافته[5] ثم قالت : اطلبوه فإنه سيحبس عليكم. فطلبوه فسبقهم ، فتلاوموا بينهم وقالوا : ما نرى له أثرا ، وما نراه إلا وقد سبقكم .

قال : وخرج توبة حتى إذا كان بالمضجع من أرض بنى كلاب جعله نذارته[6] وحبس أصحابه ، حتى إذا كان بِشِعْب من هضبة يقال له

---

(١) يحصر يسرع .

(٢) ينجو يسرع والضمير للفرس ، ومعاط اسم صوت للزجر ، والأمشاط جمع مشط نبت صغير .

(٣) فى الأغانى : صدغ البقرة .

(٤) تعمل لهم السحر ونحوه .

(٥) سافته شمته .

(٦) نذارته أى اتخذ فيه من ينذره بمن يطلبه .

هَـيْـدة[١] من كبد المضجع جعل ابن عم له[٢] يقال له قابض بن عبد الله ربيئة على رأس الهضبة ، فقال : انظر ، فإن شخص لك شيء فأعلمنا . فقال عبد الله بن الحُـمَـيِّرِ : ياتوبة ، إنك حائن[٣] أذكرك الله ، فوالله مارأيت يوما أشبه بسَـمُـرات بنى عوف يوم أدركناهم فى ساعتهم التى أتيناهم فيها من هذه الساعة وهذا اليوم ، فانجُ إن كانت بك نجاة . قال : دعنى فقد جعلت ربيئة ينظر لنا . قال : وتراجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا أثر توبه ، فلقوا رجلا من غَـنْـمْ[٤] فقالوا له : هل أحسست فى مجيئك أثر خيل أو أثر إبل ؟ قال : لا والله . قالوا : كذبت . وضربوه ، قال: ياقوم، لا تضربونى فإنى لم أجد أثرا ، ولقد رأيت زُهَـاء كذا وكذا إبلا فى تلك الهضبة ، وما أدرى ما هو ؟ فبعثوا رجلا منهم يقال له يزيد بن رُوَيْـبة لينظر ما فى الهضبة ، فأشرف على القوم ، فلما رآهم ألْوىَ بثوبه لأصحابه حتى جاءوا ، فحمل أولهم على القوم حتى غشى توبة ، وفزع توبة وأخوه إلى خيلهما ، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها ولا تقرُّ له[٥] فخلَّى طريقها وغشيه الرجل ، فصرعه توبة وهو مدهوش ، وقد لبس الدرع على السيف ، فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رويبة فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد يناشده رحم صفية ، وصفية أم له من بنى خفاجة،وغشى القومُ توبةَ فضربوه فقتلوه ، وعلقهم عبد الله بن الحُـمَـيِّرِ يطعنهم بالرمح حتى انكسر ، فلما فرغوا من توبة مالوا على عبد الله بن الحمير فضربوا رجله فقطعوها ، فلما وقع بالأرض أشرع سيفه ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول : هلموا . ولم يشعر القوم بما أصابه .

---

(١) هيدة ردهة بأعلى المضجع .
(٢) فى الأغانى : ابن عمة .
(٣) حائن هالك .
(٤) فى الأغانى : من غنى .
(٥) فى الأغانى : ولاوقفت له .

وانصرف بنو عوف بن عُقيل ، وولىّ قابض منهزما حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابى ، فأخبره الخبر ، قال : فركب عبدالعزيز حتى أتى توبة فدفنه وضمّ أخاه ، ثم ترافع القوم إلى مروان بن الحكم ، فكافأ بين الدّمين ، وحملت الجراحات ، وترك[1] بنو عوف وبنو عقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام .

قال أبو عبيدة : وقد كان توبة أيضا يغير زمن معاوية بن أبى سفيان على قضاعة وخثعم ومُرّة وبنى الحارث بن كعب ؛ وكانت بينهم وبين بنى عقيل غارات ، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه فى الروايا ثم دفنه فى بعض المفازة على مسيرة يوم منها ، ثم يغير فيصيب ما قدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة ، فيطلبه القوم فإذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه ، قال : فمكث كذلك حينا ، ثم إنه أغار فى المرة التى قتل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحُمَيِّر ورجل يقال قابض بن أبى عقيل ، فوجد القوم قد حذروا ، وانصرف توبة مخفقا لم يصب شيئا ، فمرّ برجل من بنى عوف بن عامر بن عقيل متنحيا عن قومه ، فقتله توبة وقتل رجلا كان معه من رهطه واطّرد إبلهما ، ثم خرج عامدا يريد عبد العزيز بن زرارة ابن جزء بن سفيان ، وخرج ابن عمّ لثور بن أبى سمعان المقتول يقال له خُزَيمة إلى بنى عوف بن عامر فأخبرهم ، فركبوا فى طلب توبة فأدركوه فى أرض بنى خفاجة وقد أمن فى نفسه فنزل ، وقد كان أسرَى يومه وليلته . فاستظلّ ببردته[2] وألقى عنه درعه وخلّى عن فرسه الخوصاء تتردّد قريبا منه ، وجعل قابضا ربيئة له ونام ، فأقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لكيلا يفطن لهم أحد ، فنظر قابض فأبصر رجلا منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه ، فقال له توبة : ما رأيت ؟ قال : رأيت شخص رجل واحد .

---

(١) فى الأغانى : ونزل .

(٢) الأغانى : ببرديه .

فنام ولم يكترث له ، وعاد قابض إلى مكانه فغلبته عيناه فنام .

قال : فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشَوْه ، فلما رآهم طار على فرسه وأقبل القوم إلى توبة ، فكان أول من تقدَّم غلام أمرد على فرس غبراء يقال له يزيد بن رُوَيبة بن سالم بن كعب بن عوف بن عامر بن عقيل ، ثم تلاه ابن عمه عبدالله بن سالم ، ثم تتابعوا ، فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وَسْنانُ فلبس درعه على سيفه ، ثم صوَّت بفرسه الخوصاء فأتته ، فلما أراد أن يركبها أهوت ترمحه ثلاث مرات ، فلما رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت ، وحال القوم بينه وبينها ، فأخذ رمحه وشدَّ على يزيد فطعنه ، فأنفذ فخذيه جميعا ، وشد على توبة ابن عم الغلام عبدالله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجل عبد الله بن حمَير أخي توبة . واستنقذوا ما أصابوا فردوه ، وتركوا عبد الله ، فلما رجع عبد الله بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له : فررت عن أخيك فاعتذر[1] ،

قال أبو عبيدة : وحدثني أيضا مزرع بن عمرو[2] بن همام بن مطرف ابن الأعلم : كان أهل دار من بني جشَم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشَريد حلفاء لبني عذار[3] بن خفاجة في الإسلام ، فكان بينهم وبين بني حُمَير بن ربيعة رهط توبة قتال على ماء تدعى الحلَيفة ، وعامتها الجد ابن همام[4] قال : وشهد عبد الله بن الحُمَير ذلك وهو أعرج - عرج يوم قتل توبة - ولم يكن عنده كبير غناء[5] فقالت بنو عقيل : لو توبة يلقاهم لبلُّوا منه بغير أفوق ناصل[6] فقال عبدالله بن الحمير يعتذر إليهم بهذه الأبيات :

---

(١) في الأغاني : فقال في ذلك .

(٢) في الأغاني : مزرع بن عبدالله .

(٣) في الأغاني : لبني عداد .

(٤) يعني جده الأعلم .

(٥) في الأغاني : فلم يغن غناء كثيرا .

(٦) أي لظفروا منه بغير سهم انكسر فوقه وسقط نصله بل بسهم سليم ،=

ثأوتْ بي بعازبةَ الهمـــومُ  كما يعتادُ ذا الدَّين الغريمُ (١)
كأن الهمَّ ليس يريد غـيري  ولو أمسى له نبـط ورومُ
علامَ تقـــول عاذلتي تلومُ  تؤرقني وما انجاب الصَّـريمُ (٢)
فقلت لها : رُوَيْـداً كي تجليْ  غواشي النوم والليـــلُ البهيمُ
وقد تـُعْـدِي على الحاجات حرفٌ  كركن الرَّعْـن ذعلبةٌ عقيمُ (٣)
مداخلةُ الفقارة ذاتُ لَوْثٍ  على الحَـزَّان مُـقحِـمةٌ غشومُ (٤)
كأنَّ الرحل منها فوق جأبٍ  بذاتِ الحـاذِ معقله الصريمُ (٥)
طـَبـَاهُ برجْـلة البقـّار برقٌ  فبات الليـلَ منتصبا يشيمُ (٦)
فبينا ذاك إذْ هبطتْ عليــه  دَلُوحُ المُزْنِ واهيـَّةٌ هزيمُ (٧)
تهبُّ لها الشمالُ فتمتريها  ويعقبها بنافحـة نســـيمُ (٨)
يكبُّ إذا الرَّذاذ جرى عليه  كما يصغى إلى الآسى الأميمُ (٩)
إذا ما قال أقشـــع جانباه  نشتْ من كل ناحية غيـومُ (١٠)

---

= يقولون — رجع فلان بأفوق ناصل — مثل يضرب للطالب لايجد ماطلب .

(١) عازبة اسم مكان وفي الأغاني : عارمة .

(٢) انجاب انشق ، والصريم الصبح .

(٣) حرف ناقة ضامرة ، والرعن أنف يتقدم الجبل، وذعلبة سريعة ، وعقيم لاتلد فتكون قوية .

(٤) الفقارة ما انتضد من عظام الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب ، ولوث قوة .

(٥) جأب حمار وحش ، وذات الحاز والصريم موضعان .

(٦) طباه دعاه إلى معقله ، والبقار واد ورجلته مسيل الماء إليه .

(٧) دلوح من دلح إذا مشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، وهزيم مطرة مع رعد

(٨) نفحت الريح هبت .

(٩) يكب يثقل ، والآسى الطبيب ، والأميم المجروح .

(١٠) أقشع جانباه تفرقا والضمير للسحاب ، ونشت عادت .

فأشعر ليـــله أرقا وقُـــرًّا     يسـهّده كما أرقَ السليمُ[١]
ألاَ من يشترى رِجْلاً برجل     تخوَّنها الســلاح فما تسومُ[٢]
يلومك فى القتال بنو عُقَيل     وكيف قتالُ أعرجَ لا يقـومُ
فلو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا     لقاتل لا ألفُّ ولا سؤومُ[٣]
ولا َجثَّامةٌ ورع هيــوب     ولا َضرِع إذا يمشى جثـوم[٤]

ثم إن بنى خفاجة رهط توبة جمعوا لبنى عوف بن عامر بن عقيل الذين قتلوا توبة ، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببنى الحارث بن كعب ، ثم افترقت بنو خفاجة ، فلما بلغ ذلك بنى عوف رجعوا ، فجمعت لهم بنو خفاجة أيضا قبائل عقيل ، فلما رأت ذلك بنو عوف لحقوا بالجزيرة فنزلوها ، وهم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عقيل ، ثم إن بنى عامر بن صعصعة ساروا فى أمرهم إلى مروان بن الحكم وهو والى المدينة لمعاوية بن أبى سفيان ، فقالوا : ننشدك الله أن تفرّق جماعتنا[٥] . فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب ، مائة من الإبل فأدّتها بنو عامر. قال: فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا بالجزيرة ، فلم يبق بالعالية منهم أحد ، وأقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم بالعالية[٦] .

---

(١) أشعر ليله أرقا وقرا : جعلهما كالشعار له ، والقر البرد ، والسليم الملدوغ، ولعلها أشهر .

(٢) تخونها انتقصها ، فماتسوم : ما تجد من يشتريها ، أو تسوم تسرع .

(٣) الألف الثقيل البطئ .

(٤) جثامة من جثم لزم مكانه ، وورع جبان ، وضرع ضعيف ، وروى: يمسى بالسين المهملة .

(٥) سألوه أن يفرقهم ليبعد بعضهم عن بعض فلا يقتتلوا ، وقيل إنه تفرّق مخفف تتفرق .

(٦) فى الأغانى : بالبادية

قال أبو عبيدة : وثنا مزرع بن عمرو ، قال : توبة بن حمير بن ربيعة ابن كعب بن خفاجة ، وأمه زبيدة ، هاج بينه وبين السليل بن ثور بن أبى سمعان كلام ، وكان شريرا ونظير توبة فى القوة والبأس ، فبلغ الحوار أن أوعد كل واحد منهما صاحبه ، فالتقى بعد ذلك توبة والسليل على غدير من ماء السماء ، فرمى توبة السليل فقتله ، ثم إن توبة أغار ثانية على إبل بنى السمين بن كعب بن عوف بن عقيل واردة ماءهم فاطّردها ، فاتبعوها وهم سبعة نفر : يزيد بن رُوَيبة ، وعبد الله بن سالم ، ومعاوية بن عبد الله ، قال أبو عبيدة : ولم يذكر غير هؤلاء فانصرفوا بجنبين الخيل يحملون المِزَاد، فقصوا أثر توبة وأصحابه فوجدوهم قد أخذوا فى المضجع من أرض بنى كلاب ، فى أرض دمثة تربة ، فضلّت الخوصاء فرس توبة من الليل ، فأقام لها فاضطجع حتى أصبح ، وساق أصحابه الإبل وهم ثلاثة نفر سوى توبة : المحرز أحد بنى عمرو بن كلاب ، وقابض بن أبى عقيل أحد بنى خفاجة . وعبد الله بن الحمَير أخو توبة لأبيه وأمه ، فلما أصبح توبة إذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظَلم [1] قريبة منه ليس دونها وجاح [2] فأشلاها حتى أتته [3] ثم خرج يقودها [4] حتى لحق بأصحابه ، فانتهوا إلى هضبة بكبد المضجع فارتقى توبة فوقها ينظر الطلب ، فرآه القوم ولم يرهم عند طلوع الشمس ، وبالت الخوصاء حين انتهت إلى الهضبة ، فثار القوم [5] فركب يزيد بن رُوَيبة وكان أحدث القوم سنًّا ، وأمه بنت عم توبة ، فأغار ركضا حتى انتهى إلى الهضبة ، فإذا بول الفرس وعليه بقية من رغوته ، وإذا أثر توبة

---

(١) يقال لقيته أدنى ظلم أى أول كل شىء .

(٢) وجاح ستر .

(٣) أشلى دابته أراها المخلاة لتأتيه .

(٤) فى الأغانى : يعدو .

(٥) فى الأغانى : فقال القوم إنه لطائر أو إنسان فركب الخ .

يعرفونه ، فرجع فخبَّر أصحابه . واندفع توبة وأصحابه حتى نزلوا إلى طرف هضبة يقال لها الشجراء[1] من أرض بنى كلاب ، فقالوا بالظهيرة فلم يشعر شعره[2] إلا والإبل قد نفرت ـ وكانت بَرْكاً بالهاجرة ـ من وثبة الخيل[3] فوثب توبة ـ وكان لا يضع السيف ـ فضرب درعه على السيف متقلّده وهلا ودهمه القوم فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدرع فلم يستطع سلّه . فطار إلى الرمح فأخذه . فأهوى به طعناً إلى يزيد بن رُوَيبة ، وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنه أو ليأخذنه . فأنفذ فخذ يزيد ، واعتنقه يزيد فعضّ بوجنته واستدبره عبد الله بالسيف ففلق رأسه . وهتف توبة حين اعتوره الرجلان بقابض : يا قابض ، فلم يَلْوِ عليه . وفرّ قابض الكلابى وذَبَّ عنه عبد الله ابن حُمَير أخوه . فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب ركبته فاختلفت أى سقطت . فأتى قابض من فوره ذلك عبد العزيز بن زرارة أحد بنى أبى بكر بن كلاب فقال : قتل توبة . فقال أبوه : تبّاً لكَ . سُحْقاً لك . أتطلب بدم توبة أن قتلته بنو عقيل ظالما لها ، باغيا عاديا عليها ؟ قال : لكنى أجنّه إذَنْ . قال أبوه : أما هذه فنعم ، فألقى السلاح وانطلق حتى أجنّه وحمل أخاه عبد الله بن حمير . قال : فأهل البادية يزعمون أن محرزا سحر فأخذ عن سيفه[4] فقالت ليلى الأخيلية :

نظرت ودونى من عمايةَ منكب ... وبطن الركاء أين نظرةُ ناظرِ[5]

---

(١) فى الأغانى : الشجر بالشين المشددة المكسورة والجيم الساكنة .

(٢) شعره أى ما يشعره .

(٣) فى الأغانى : من وثيد الخيل والوثيد الصوت .

(٤) يعنى المحرز الذى كان مع توبة

(٥) فى الأغانى :

نظرت وركن من دنانين دونه ... مفاوز حوضى أى نظرة ناظر

وعماية جبل ، ودنانين جبلان تثنية دن بتشديد النون وخففت للضرورة . والركاء بالتشديد واد ، وحوضى موضع .

لأونسَ إنلم يقصر الطّرفُ دونهم فلم تقصر الأخبار والطرف قاصرى
فوارسَ أجلى شأوهَا عن عَقيرةٍ لعاقرها فيها عقيرةُ عاقر

شأوها : سرعتها وهو الطلق ، عقيرة : تعنى توبة ، لعاقرها : أى لعاقر توبة ، تريد يزيد بن رُوَيبة[١] .

فـآنستُ خيلاً بالرواق مغيرةً سوابقُها مثل القطا المتواترِ[٢]
قتيلَ بنى عوف وأيصُرُ دونه قتيلُ بنى عوف قتيلُ يُحابرِ[٣]
تواردهُ أسيافُهم فكأنما تصادرن عن أقطاع أبيض باترِ[٤]
من الهند وانيات فى كل قطعة دمٌ زلَّ عن أثر من السيف ظاهرِ[٥]
أتته المنايا دون زَغْفٍ حصينة وأسمرَ خطّىٍّ وخوصاءَ ضامرِ[٦]
على كل جرداء السَّراةِ وسابح درأن بشُبّاك الحديد زوافرِ[٧]
عوابس تعدو الثّعلبيةَ ضُمّرًا وهنَّ شَوَاجٍ بالشكيم الشواجرِ[٨]
فلا يُبعدنْكَ الله يا توبَ إنما لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
فإن تكن القتلى بَواءً فإنكم ستلقون يوما وِردُه غيرُ صادرِ[٩]

---

(١) فى الأغانى : ووجه آخر فى عقيرة عاقر معنى مدح ، أى عقيرة كريمة لعاقرها ، ووجه آخر : عقيرة لعاقرها فيها الهلاك لعقرها .

(٢) فى الأغانى ـ بالرقى ـ كسمى موضع ، أما الرواق فهو مقدم الليل .

(٣) أيصر موضع ، وفى رواية : قتيل لعامر .

(٤) أقطاع قطع وهو ما قطع من حديد أو غيره ، وفى رواية : عن حامى الحديدة

(٥) أثر السيف فرنده ورونقه .

(٦) زغف درع لينة واسعة محكمة .

(٧) السراة الظهر ، ودرأن دفعن ، وشباك الحديدة اللجم .

(٨) الثعلبية أن يعدو الفرس كالكلب ، والشكيم الحديدة المعترضة فى فم الفرس والشواجر من شجر الدابة ضرب لجامها ليكفها حتى فتحت فاها .

(٩) بواء من باء دمه بدمه عدله ، وفى الأغانى : فإن لا تك القتلى .

وإن السليل إذ يُباوى قتيلكم كمرحومة عن عركها غير طاهرِ (١)
فإن تكن القتلى بواء فإنكم فتىً ما قتلتم آلَ عوف بن عامرِ
فتىً لا تخطّاه الرفاقُ ولا يرى لِقدْرٍ عيالا دون جار مجاورِ
ولا تأخذ الأدْمُ الجلادُ سلاحها لتوبةَ فى نحس الشتاء الصّنابرِ (٢)
إذا ما رأته قائما بسلاحه تقتْهُ الخفافُ بالثّقال البهازرِ (٣)
إذا لم يَجُدْ منها برِسْلٍ فقصرُهُ ذُرَى المرهفات والقلاص التواجرِ (٤)
قرَى سيفَه منها مُشاشاً وضيفَهُ سَنامَ المهاريسِ السّباط المشافرِ (٥)
وتوبةُ أحيا من فتاة حَيِيّةٍ وأجرأ من ليث بخفّانَ خادرِ (٦)
ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجرا وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
فتىً يُنهلُ الحاجاتِ ثم يُعلّها فيطلعها عنه ثنايا المصادرِ (٧)
كأنّ فتى الفتيان توبة لم يُنِخْ قلائصَ يعركن الحصا بالكراكرِ (٨)
ولم يبن أبراداً عتاقاً لفتية كرام ويرحلْ قبل فىء الهواجرِ (٩)
ولم يتجلْ الصبح عنه وبطنُهُ لطيفٌ كطىّ السّبّ ليس بحادرِ (١٠)

---

(١) يباوى يساوى ، ومرحومة مريضة برحمها ، وعركها حيضها .
(٢) الصنابر الشديد البرد .
(٣) البهازر الإبل العظام .
(٤) رسل لبن ، والتواجر النافقة فى السوق .
(٥) مشاشا رؤوس عظام ، والمهاريس العظام الثقال .
(٦) خفان موضع تأوى إليه الأسد .
(٧) ينهل من النهل وهو فى الأصل أول الشرب ، يعلها من العل وهو فى الأصل الشرب بعد الشرب .
(٨) الكراكر جمع كركر وهو وعاء قضيب البعير .
(٩) أبرادا جمع برد وهو كساء مخطط .
(١٠) السب شقة رقيقة .

فتى كان للمولى سناءً ورفعةً | وللطارق السارى قرىً غير باسرِ (١)
ولم يُدْعَ يوما للحفاظ وللعدا | وللحرب ترمى نُكْرُها بالشرائرِ (٢)
وللبازل الكوماء يرغو حُوارُهَا | وللخيل تعدو بالكماة المساعرِ (٣)
كأنك لم تقطع فلاةً ولم تُنِخْ | قلاصالدى فأوٍ من الأرض غائرِ (٤)
جَنُوحاً بموماة كأنَّ صريفها
صريفُ خطاطيفِ الصَّرى فى المحاورِ (٥)
طوت نفعها عنا كلابٌ وآسدتْ | بنا أجهلَيْها بين غاوٍ وشاعرِ
وقد كان حقا أن تقول سراتهم | لَعًا لأخينا عاليا غيرَ عاثرِ (٦)
ودوِّيَةٍ قفرٍ يحارُ بها القطا | تخطَّيتها بالناجيات الضوامرِ (٧)
فتالله تبنى بيتها أم عامر | على مثله أخرى الليالى الغوابرِ (٨)
فليس شهابُ الحرب توبة بعدها | بغازٍ ولا غادٍ بركبٍ مسافرِ
وقد كان طلاّعَ النجاد وبيّنَ الـ | ـلسانِ ومدلاجَ السرَى غير فاترِ
وقد كان مهمازا إذا ما تعذَّرتْ | وسائقُ أو مغبوطةٌ لم يغادرِ (٩)

---

(١) القرى ما يقدم للضيف، وفى الأغانى: غير ياسر، والياسر الجازر والذى يلى قسمه جزور الميسر .

(٢) فى الأغانى يرى نارها .

(٣) البازل الناقة يبرز نابها فى تاسع سنيها ، والمساعر جمع مسعر وهو موقد نار الحرب .

(٤) فأو بطن من الأرض تطيف به الرمال .

(٥) خطاطيف جمع خطاف وهو حديدة البكرة وفيها المحور .

(٦) لعالك عاليا : كلمة يدعى بها للعاثر معناها الارتفاع .

(٧) فى الأغانى الناعجات وهى النوق البيض السريعة .

(٨) فتالله تبنى أى لا تبنى ، والقواير الباقيات

(٩) وسائق جمع وسيقة وهى من الإبل كالرفقة من الناس ، ومغبوطة ناقة عليها رحلها .

وكنتَ إذا مولاك خاف ظلامةً دعاك ولم يعدل سواك بناصرِ
فإن يك عبد الله أمسى ابن أمِّه وآب بأسلاب الكَمىّ المغاورِ (١)
وكان كذات البَوّ تضرب عنده سباعاً وقد ألقينه فى الجراجرِ (٢)
فإنك قد فارقته لك عاذراً وأنىٰ لحىّ غدرٌ من فى المقابرِ
فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأحفل من نالتْ صروفُ المقادرِ (٣)
على مثل همّام ولابن مطرفٍ لتبك البواكى أو لبشر بن عامرِ
غلامان كانا استوردا كلَّ سورةٍ من المجد ثم استوثقا فى المصادرِ
ربيعى حَياً كانا يفيض نداهما على كل مغمور نداه وغامرِ (٤)
كأنّ سَنا نارَيْهما كلَّ شتوةٍ سنا البرق يبدو للعيون النواظرِ

وقالت ترثى توبة عن أم حُمَيرْ أخت أبى الجراح العقيلى عن أمها، وأمها بنت أخى توبة، قال (٥) : وكان الأصمعى يُعْجَب بها :

أيا عينُ بكّى توبة بن حُمَيِّرٍ بسحّ كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجةَ نسوةٌ بماء شؤون العبرة المتحدرِ
سمعن بَهيْجَا أرهقتْ فذكرنَهُ ولا يبعث الأحزانَ مثل التذكر (٦)
كأنَّ فتى الفتيان توبة لم يسرْ بنجد ولم يطلع من المتغوّرِ (٧)
ولم يرد الماء السدام إذا بدا سنا الصبح فى بادى الحواشى منوّرِ (٨)

---

(١) المغاور الكثير الغارات .
(٢) البو جلد الحوار يحشى تبنا ونحوه ويقرب من أم الفصيل لتعطف عليه فتدر، والجراجر الحلوق .
(٣) أبكى : على تقدير لا أى لا أبكى .
(٤) حيا مطر وخصب .
(٥) أى أبو عبيدة .
(٦) هيجا حرب .
(٧) النجد المرتفع من الأرض ، والمتغور المنخفض .
(٨) السدام المتغير .

ولم يَغْدُ بالجُرْد الجياد يقودها ... بِسُبرةَ بين الأشمسات فأيْصُرِ (١)

وصحراءَ موماةٍ يحاربها القطا ... قطعت على هول الجنان بمَنْسِرِ (٢)

يقودون قُبًّا كالسَّراحين لاحها ... سُراهم وسيرُ الراكب المتهجِّرِ (٣)

فلما بدتْ أرض العدو سقيتها ... صباب بقيّات المـزَاد المقيَّرِ (٤)

ولما أهابوا بالنِّهاب حويتها ... بخاظى البضيع كرُّه غير أعسرِ (٥)

مُمَرٍّ ككرِّ الأندريِّ مثابر ... إذاماونيْنَ مخصفِ الشدِّ محضرِ (٦)

وألوْت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيضٍ سابغٍ وسنوّرِ (٧)

ألم تر أن العبد يقتل ربَّهُ ... فيظهر جدُّ العبد من غير مظهر

قتلتم فتى لا يسقط الدرعُ رمحَهُ ... إذا الخيل جالت فى قناً متكسر

فيا توبَ للهيجا ويا توبَ للندى ... ويا توب للمستنبَح المتنـور (٨)

ويارب مكروب أجبتَ ونائلٍ ... بذلتَ ومعروف لديك ومنكرِ

---

(١) سبرة بئر لتيم الرباب ، ولعل الأشمسات تحريف عن الشمستين موضع ، وأيصر موضع.

(٢) موماة واسعة أو لاماء فيها . والمنسر القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير .

(٣) قبا جمع أقب وهو الضامر البطن ، والمتهجر السائر فى وقت الهجيرة .

(٤) فى الأغانى مجاج بدل صباب ، والمقير المطلى بالقار وهو الزفت .

(٥) بخاظى البضيع من خظى لحمه اكتنز صفة للفرس ، والأعسر الذى يعمل بيسراه .

(٦) ممر مجدول الخلق كالحبل المفتول ، والكر الحبل الغليظ ، والأندرى نسبة إلى الأندرين بلدة بالشام ، وضميرونين للأفراس ، ومخصف الشد مسرع العدو ، وكذلك محضر ، وفى الأغانى: مهلب الشد أى متابعه .

(٧) سنور لبوس من قد كالدرع .

(٨) المستنبح الذى تنبحه كلاب من يستنجده .

وقالت ترثيه :

أقسمت أرثى بعد توبة هالكاً ... وأحفل من دارت عليه الدوائرُ
لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حىٌّ وإن كان سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابرُ[1]
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بدَّ يوما أن يُرى وهوَ صابرُ
وليس لذى عيش عن الموت مقصَر ... وليس على الأيام والدهر غابرُ[2]
فلا الحىُّ مما يحدث الدهر معتَبٌ ... ولا الميتُ إن لم يصبر الحىُّ ناشر
وكلُّ شباب أو جديد إلى بلىً ... وكلُّ امرىء يوماً إلى الله صائر
وكل قرينىْ ألفــة لتفــرق ... شتاتاً وإن ضنَّا وطال التعاشرُ
فلا يبعدنْكَ الله يا توب هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ[3]
فآليتُ لا أنفكُّ أبكيك مادعتْ ... على فننٍ ورقاءُ أو طار طائرُ
قتيل بنى عــوف فيا لهفتا له ... وماكنتُ إياهم عليــه أحاذرُ
ولكنما أخشى عليه قبيــلةً ... لها بدروب الروم بادٍ وحاضرُ[4]

وقالت ترثيه :

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توبَ للضيف إذْ يدعو وللجارِ
وتوبَ للخصم إن جاروا وإن عندوا ... وبدَّلوا الأمرَ نقضاً بعد إمرارِ
إن يصدروا الأمرَ تطلعْهُ مواردَهُ ... أو يوردوا الأمر تطلعه بإصدار[5]

وقالت ترثيه :

هراقتْ بنو عوف دماً غير واحدٍ ... له نبأ نجــديــهُ سيغــورُ[6]

---

(١) فى الأغانى : وإن عاش

(٢) غابر باق .

(٣) فى الأغانى : فلا يبعدنك الله حيا وميتا .

(٤) ذروب جمع درب وهو باب السكة الواسع وكل مدخل إلى الروم .

(٥) فى الأغانى: تحلله بإصدار ، والإيراد ورود الماء والإصدار الرجوع عنه.

(٦) سيغور يوصله إلى الغور وهو مابين ذات عرق إلى البحر وكل ما انحدر مغربا عن تهامة .

تداعتْ له أفناءُ عوفٍ ولم يكن ... له يوم هضب الرَّدهتين نصيرُ[1]
فقل لبنى عوف : ستلقون غارةً ... إذا ما خَبَتْ قنا لها فتثورُ

وقالت ترثيه :

يا عين بَكِّى بدمع دائم السَّجِم ... وابكى لتوبةَ عند الدوم والبهمِ[2]
على فتىً من بنى سعد فجعتُ به ... ماذا أجنَّ به فى حفرة الرجمِ[3]
من كل صافيةٍ صرفٍ وقافيةٍ ... مثل السنان وأمر غير مقتسمِ
ومُصدرٍ حين يعيى القومَ مَصدرهم ... وجفنةٍ عند نحس الكوكب الشبمِ[4]

وقالت تعير قابضا فراره عن توبة وتمن عليه بحملان توبة :

تخلَّى عن أبى حرب فولَّى ... بهيدةَ قابض قبل القتالِ[5]
ونجَّى قابضا وَرْد سَبُوح ... يمرُّ كأنه مريخُ غالِ[6]
نفحتَ به اليمينَ فظلَّ يهوى ... هوىَّ الصقر فى يوم الظلالِ[7]
فجاء كأنما يهوى لنَحب ... طويل المتن مرتفع القذالِ[8]
ألمَّا أنْ رأيت الخيل تردى ... تبارى بالخدود شبا العوالى[9]
على زَبِدِ القوائم أعوجى ... حثيث الركض منكفت التوالى[10]

---

(١) هضب الردهتين موضع .

(٢) فى الأغانى:عند الروع والبهم .

(٣) الرجم بفتح الجيم القبر وسكن للضرورة .

(٤) الشبم البارد .

(٥) أبو حرب توبة ، وهيدة موضع قتل فيه توبة . وقيل إنها فرس قابض .

(٦) غال أى يغلو به ويباعد به إذا رمى ، والمريخ السهم الطويل .

(٧) نفحت به اليمين : يقال نفح الشىء بسيفه تناوله ، أى تناوله بضرب أو نحوه فى جنبه اليمين .

(٨) لنحب لخطر عظيم ، والقذال معقدا العذار من الفرس خلف الناصية .

(٩) تردى ترجم الأرض بحوافرها ، وشبا العوالى حد الرماح ، وألما على تقدير :أهربت لما .

(١٠) على زبد متعلق بهربت المحذوف فى البيت قبله ، وزبدا لقوائم أبيضهما

حباكَ به ولم يَحـد بك لمـّـا رآك محارفا ضَـمِـنَ الشمال[1]

قال الأصمعي : لم يكن زمنا من يده ، وإنما أرادت لما:رآك لا تكسب خيرا لنفسك بيدك ، فلم يقدر أن يقول:ضمن اليدين .

فإنك لو ركضت خلاك ذمٌّ وفارقك ابنُ عمكَ غيرَ قالِ
ألم تعلم جـزاك الله شرًّا بأن الموتَ منهـاةُ الرجالِ
فتضربَ ضربةً يسمو إليهـا حديثُ القوم فى الرُّفق العجالِ
فلا وأبيك يا ابن أبى عُـقَـيلٍ يبلـّك بعدها عنـدى بلالِ

أى لا نعدك من الناس ، يقال:فلان لا تبلـّه عندنا بالّة ، أى ليس له عندى بالة .

وقالت فى قابض أيضاً :

جزى الله شرًّا قابضا بصنيعه وكل امرىء يجزى بما كان ساعيَـا
دعا قابضا والمرهفاتُ يردْنَهُ فقُـبّـحتَ مدعوًّا ولبّـيك داعيَـا

وقالت لقابض وتعذر عبد الله أخا توبة :

دعا قابضا والموتُ يخفق ظلـّهُ وما قابض إذ لم يجبْ بنجيبِ
وآساه عبد الله ثَـمَّ بنفسه ولو شاء نجّـى يوم ذاك حبيبِ

قال أبو الفرج : وأخبرنى محمد بن العباس ، ثنا أحمد بن يحيى ثعلب ، ثنا ابن الأعرابى ، أنا أبو محمد بن مصعب ، عن عاصم بن الحـدَثان[2] عن يونس بن حبيب ، عن أبى عمرو بن العلاء ، قال :

سأل معاوية بن أبى سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن حُـمَـيّر فقال : ويحك يا ليلى ، أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كل ما يقول الناس حقا ، والناس شجرة بغى يحسدون أهل النعم حيث

---

= وأعوجى نسبة إلى أعوج فرس لبنى هلال تنسب إليه الأعوجيات ، ومنكفت ضامر

(١) لم يجد بك لم يشق عليك ، ومحارفا من حرف لعياله كسب .

(٢) فى الأغانى عاصم الليثى .

كانت وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان ، حديد اللسان ، شجا للأقران ، كريم المختبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له . قال : وما قلت له ؟ قالت : قلت ولم أتعدّ الحق وعلمي فيه :

بعيد الثّرَى لا يبلغ القومُ قعرَهُ ألدُّ ملدٌّ يغلب الحقَّ باطلُهْ[١]
إذا حلَّ ركبٌ داره وأظلّهُ ليمنعهم مما تخاف نوازلهْ[٢]
حماهم بنصل السيف من كل فادحٍ يخافونه حتى تموت خصائلُهْ

فقال لها معاوية : ويحك ، يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا . فقالت من ساعتها :

معاذَ إلهى كان والله سيداً جواداً على العلاتِ جمًّا نوافلهْ
أغرَّ خفاجيًّا يرى البخل سُبَّةً تحلّبُ كفّاه الندى وأناملُهْ
عفيفا بعيد الهم صلبا قناتهُ جميلا محيّاهُ قليلا غوائلُهْ
وقد علم الجوع الذى بات نازلاً على الضيف والجيران أنك قاتلهْ
وأنك رحب الباع يا توبَ بالقِرى إذا ما لئيم القوم ضاقت منازلهْ[٣]
يبيت قرير العين من كان جارَهُ ويضحى بخير ضيفه ومنازلُهْ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ، لقد جزت بتوبة قدره . فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو قد رأيته وعرفته لحقّقت أنى مقصرة فى نعته ، وأنى لا أبلغ كنه ما هو أهله فقال لها معاوية : سنَّ أى الرجال كان ؟[٤] فقالت:

أتته المنايا حين تَمَّ تمامُهُ وأقصر عنه كلُّ قرن يطاولُهْ[٥]
فعاد كليث الغاب يحمى عرينَهُ وترضى به أشباله وحلائلُهْ

---

(١) الثرى كثرة المال ، ولعله بعيد السرى وهو الشرف ، وقعره أصله .
(٢) فى الأغانى : فى ذواه وظله
(٣) القرى طعام الضيف
(٤) فى الأغانى : من أى الرجال كان
(٥) فى الأغانى : يصاوله

غضوب حليمٌ حين يُطلبُ حلمهُ وسمٌ وحامٍ لا تصاب مقاتلهْ (١)

قال : فأمر لها معاوية بجائزة عظيمة ، وقال لها : أخبريني بأحق ما قلت فيه من الشعر . فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت فيه شيئا إلا والذى فيه من خصال الخير أكثر منه ، ولقد أجدت حين قلت :

جزى الله خيرا والجزاءُ بكفّه فتىً من عُقَيل ساد غير مكلَّفِ (٢)
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفكُّ جَمَّ التصرفِ
ينال عليَّاتِ الأمور بهــونة إذا هى أعيتْ كلَّ خرق مشرَّفِ (٣)
هو الذوبُ بل أُسْدِى الخلايا شبُيهه بدرياقة من خمر بَيْسانَ قرقفِ (٤)
فياتوبَ مافى العيش خير ولا ندىً يعد وقد أمسيت فى رمس نفنفِ (٥)
وما نيلَ منك النَّصفُ حتى ارتمتْ بك الـ
منايا بسهم صائب الوقع أعجفِ (٦)
فيالك أنْ لو كنتَ حيًّا مسلَّماً لألقاك مثل القَسْور المتطرفِ
كما كنت إذ كنتَ المنجّى من الردى إذا الخيل جالتْ بالقنا المتقصفِ
فكم من لهيف مُحجَر قد أجبته بأبيض قطَّاع الضريبة مرهفِ
فأنقذته والموتُ يحرق نابَهُ عليه ولم يُطعَنْ ولم يتسيَّفِ (٧)

قال أبو الفرج : وأخبرنى الحسن بن على ، ثنا ابن مهروَيْه ، ثنا ابن أبى سعد ، قال : حُدّثت عن القحذمى عن حارث بن غصين العقيلى ، قال :

---

(١) فى الأغانى : وسم زعاف لاتصاب مقاتله

(٢) غير مكلف : من التكليف وهو الأمر بما يشق عليك

(٣) خرق أحمق

(٤) الذوب العسل ، وأسدى الخلايا جمع سدى وهو ما فيها من عسل ، وقرقف يرعد عنها شاربها

(٥) نفنف مفازة

(٦) أعجف رقيق .

(٧) لم يتسيف يصب بالسيف

كان توبة قد دخل إلى الشام فمر ببنى عذرة ، فرأته بُثينة فجعلت تنظر إليه ، فشقّ ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يظهر حبه لها . فقال له جميل : من أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحُمَيّر . قال : هل لك فى الصراع ؟ قال : ذاك إليك . فشدت عليه بثينة ملحفة مورّسة[١] فاتزّر بها ثم صارعه فصرعه جميل ، ثم قال : هل لك فى النضال ؟ قال : نعم : فناضله فنضله جميل ، ثم قال له : هل لك فى السباق ؟ فسابقه فسبقه جميل ، فقال له توبة : يا هذا ، إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا إلى الوادى . فصرعه توبة ونضله وسبقه .

قال : وأخبرنى إبراهيم بن أيُّوب ، ثنا ابن قُتَيبه ، قال :

بلغنى أن ليلى الأخيليه دخلت على عبد الملك بن مروان ، وقد أسنّت وعجزت ، فقال لها : ما رأى توبة فيك حين بصر بك ؟[٢] قالت : ما رأى الناس فيك حين ولّوك . فضحك عبد الملك حتى بدت له سنّ سوداء كان يخفيها .

قال : وأخبرنى الحسن بن على ، ثنا عبد الله بن أبى سعد ، ثنا أحمد بن راشد[٣] حدثنى أيوب بن عمرو ، عن رجل من بنى عامر يقال له ورقاء . قال :

كنت عند الحجاج بن يوسف فدخل عليه الآذن فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير النادُّ . فقال : أدخلها . فلما دخلت نسبها فانتسبت له ، فقال : ما أتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلاف النجوم ، وكَلَبُ البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرّد . قال : فأخبرينى عن الأرض . قالت : الأرض مقشعرّة ، والفِجاج مغبرّة ، وذو الغنى مختلّ ، وذو الحد منفلّ[٤] . قال : وما سبب ذلك ؟ قالت : أصابتنا سنون مجحفة

---

(١) مصبوغة بالورس

(٢) فى الأغانى : حين هويك .

(٣) فى الأغانى : رشيد .

(٤) يريد بالحد السلاح ومنفل متثلم .

مظلمة لم تدع لنا فصيلا ولا رَبعا ، ولم تبق عافطة ولا نافطة، فقد أهلكت الرجال ، ومزقت العيال ، وأفسدت الأموال، ثم أنشدته الأبيات المتقدمة.

فقال الحجاج : هذه التي تقول :

نحن الأخايلُ لا يزال غلامُنَا حتى يدبَّ على العصا مشهورَا[1]

تبكى الرماحُ إذا فقدْنَ أكفَّنَا جزعا وتلفينا الرفاق بحورَا[2]

ثم قال لها . يا ليلى ، أنشدينى بعض شعرك فى توبة . فأنشدته :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تشنْهُ فى الحياة المعايرُ

وما أحد حيٌّ وإن عاش سالما بأخلد ممن غيَّبته المقابر

فلا الحيُّ مما أحدث الدهر معتَبٌ ولا الميت إن لم يصبر الحيُّ ناشرُ

وكل جديد أو شباب إلى بِلًى وكلُّ امرىء يوما إلى الموت صائرُ

قتيلُ بنى عوفٍ ويا لهفتا له وما كنتُ إياهم عليه أحاذرُ

ولكنَّنى أخشى عليه قبيلةً لها بدروب الشام بادٍ وحاضرُ[3]

فقال الحجاج لحاجبه : اذهب فاقطع عنى لسانها . فدعا بالحجام ليقطع لسانها، فقالت له : ويلك ، إنما قال لك الأمير اقطع لسانها بالعطاء والصلة ، فارجع إليه فاستأمره فرجع فاستشاط عليه وهمَّ بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأدخلت عليه ، فقالت : كاد وعهد الله أيها الأمير أن يقطع مِقْوَلى . وأنشدته:

حجَّاج أنت الذى لا فوقه أحدُ إلاَّ الخليفةُ والمستعظم الصَّمد

حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحتْ وأنت للناس نور فى الدجى يَقِد

قال : وأخبرنى وكيع ، ثنا إسماعيل بن محمد ، ثنا المدائنى ، عن جويرة، عن بشير بن عبيد الله بن أبى بكر[4] . أن ليلى دخلت على الحجاج فذكر مثله وزاد . فلما قالت :

---

(١) الأخايل جمع الأخيل المنسوبة إليه .

(٢) فى الأغانى : وتعرفنا الرفاق .

(٣) سبقت هذه الأبيات فى ص ١٣٤ .

(٤) فى الأغانى: عبدالله .

* غلام إذا هزَّ القناةَ سقاها *

قال لها : لا تقولى غلام ، قولى همام. وقال : فأمر لها بمائتين ، فقالت: زدنى . فقال : اجعلوها ثلثمائة . فقال بعض جلسائه : إنها غنم . قالت : الأمير أكبر من ذاك وأعظم قدرا من أن يأمر لى إلا بالإبل . قال : فاستحيا وأمر لها بثلثمائة بعير ، وإنما كان أمر لها بغنم لا إبل .

قال : وأنا وكيع ، ثنا إبراهيم بن إسحاق ، ثنا عمرو بن أبى عمرو عن أبيه بمثله وزاد فيه : أفلا قلت موضع — غلام همام . وقال فيه : فقال لها : أنشدينا ما قلت فيه . فأنشدته قولها :

فإن تكن القتلى بَوَاءً فإنكم فتىً مَا قتلتم آل عوفِ بن عامرِ
فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييَّةٍ وأشجعَ من ليث بخفَّانَ خادرِ
أتته المنايا دون درعٍ حصينةٍ وأسمرَ خطى وجرداءَ ضامرِ
فنعم الفتى إن كان توبة فاجراً وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
كأن فتى الفتيان توبةَ لم يُنِخْ قلائص يفحص الحصى بالكراكرِ [1]

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة ، إنك لتصفين هذا الرجل بشىء ما تعرفه العرب فيه فقالت له : أيها الرجل ، هل رأيت توبة قطُّ ؟ قال : لا .

فقالت : أمَا والله لو رأيته لوددت أن كل عاتق فى بيتك حامل منه . قال : فكأنما فقىء فى وجه أسماء حبُّ الرُّمَّان . فقال الحجاج : ما كان لك ولها ؟ .

قال : وأخبرنى الحسن ، ثنا ابن أبى سعد ، حدثنى محمد بن على ، سمعت أبى يقول : سمعت الأصمعى يذكر أن الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لك من حاجة ؟ قالت : نعم ، أصلح الله الأمير ، تحملنى إلى ابن عمى قتيبة بن مسلم . وهو على خراسان يومئذ ، فحملها إليه فأجازها

---

(١) سبقت الأبيات .فى ص ١٣٠

وأقبلت راجعة تريد البادية ، فلما كانت بالرى ماتت ، وقبرها هناك . هكذا ذكر الأصمعى فى وفاتها ، قال أبو الفرج : وهو غلط .

قال : وأخبرنى عمى عن الحزنبل الأصبهانى ، عمن أخبره عن المدائنى : أن ليلى الأخيلية أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة بن الحُمَيِّر ومعها زوجها وهى فى هودج لها ، فقالت : لا والله لا أبرح حتى أسلم على توبة . فجعل يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلمّ به ، فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك يا توبة . ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت :

ما عرفت له كذبة قط قبل هذه . قالوا : وكيف ؟ قالت أليس القائل :

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلَّمتْ ... علىَّ ودونى تربةٌ وصفائحُ(١)

لسلمتُ تسليم البشاشة أو زقا ... إليها صدىً من تربة القبر صائحُ

وأغبط من ليلى بما لا أنالُهُ ... ألا كل ما قرَّتْ به العينُ صالحُ

فما باله لم يسلم علىَّ كما قال ؟ وكانت إلى جانب القبر بومة كامنة ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت فى وجه الجمل ، فنفر فرمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها فدفنت إلى جانبه .

قال أبو الفرج : وهذا هو الصحيح فى خبر وفاتها .

وقال أبو عبيدة : كان توبة شريرا كثير الغارة على بنى الحارث بن كعب وخثعم وهمدان ، وكان يزور نساء منهن يتحدث إليهن ، وذلك قوله :

أيذهب رَيْعانُ الشباب ولم أزُرْ ... غرائرَ من همدانَ بيضا نحورُهَا(٢)

قال . وكان ربما ارتفع إلى بلاد مَهْرَة فيغير عليهم ، وبين بلاد مهرة وبلاد عُقَيل مفازة لا يقطعها الطير ، وكان يحمل مزاد الماء فيدفنه على مسيرة كل يوم مزادة ، ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة ، وإنما كان

---

(١) فى رواية : ودونى جندل .

(٢) غرائر جمع غريرة أى بيضا .

يتعمد بغاراته حمارّة القيظ وشدة الحر ، فاذا ركب المفازة رجعوا عنه .

قال أبو الفرج : وأخبرنى حَرمىٌّ بن أبى العلاء(١) ، ثنا الزبير بن بكار حدثنى يحيى بن المقدام عن عمه موسى بن يعقوب ، قال :

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الوالهة الحرّى ليلى الأخيلية .

قال : أنت التى تقولين :

اريقتْ جفانُ ابن الخليع فأصبحت حياضُ الندى زالت بهنّ المراتبُ(٢)
فعصّادُهُ لهْفَى يطوفون حوله كما انقضّ عرش البئر والورْدعاصبَ(٣)

قالت : أنا الذى أقول ذلك : قال : ما الذى أبقيت لنا ؟ قالت : الذى أبقى الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت . نسبا قرشيا ، وعيشا رخيًّا ، وإمرة مطاعة . قال . أفردته بالكرم . قالت. أفردته بما انفرد به . قالت عاتكة : إنها قد جاءت تستعين بنا عليك فى عين تسقيها وتحميها لها ، ولست ليزيد إن شفعتها فى شىء من حاجتها لتقديمها أعرابيا جلفا على أمير المؤمنين . قال : فوثبت ليلى فجلست على رجلها واندفعت تقول :

ستحملنى ورحلى ذاتُ وخد عليها بنتُ آباءٍ كرامِ(٤)
إذا جعلتْ سوادَ الشام جنباً وأغْلِقَ دونها بابُ اللئامِ
فليس بعائد أبدا إليهم ذوو الحاجات فى غلس الظلامِ
أعاتكَ لو رأيتِ غداةَ بِنّا عزاءَ النفس عنكم واعتزامى(٥)

(١) فى الأغانى: حرمى فقط .
(٢) الخليع رئيس من بنى عامر .
(٣) الورد الذين يردون ماءه .
(٤) فى الأغانى ذات رحل ، والوخد السير السريع .
(٥) بنا : فارقنا .

إذَنْ لعلمتِ واستيقنتِ أنى مشيَّعةٌ ولم ترْعَى ذمامى
أأجعل مثل توبةَ فى نداهُ أبا الذبّان فوهُ الدَّهرَ دامِ (١)
معاذ الله ما خشعتْ برحلى تُخذ السير للبلد التهامى (٢)
أقلتِ خليفةٌ فسواه أحجَى بإمرته وأوفى باللئامِ (٣)
لنا الملأكُ حين تعد كعبٌ ذوو الأخطار والخطط الجسامِ (٤)

فقيل لها . أىَّ الكعبين عنيت ؟ قالت . ما إخال كعبا ككعبى (٥) .

قال أبو الفرج . وأنا محمد بن العباس ، ثنا الخليل بن أسد ، ثنا العمرى عن الهيثم بن عدى ، أنا أبو يعقوب الثقفى ، عن عبد الملك بن عمير ، حدثنى محمد بن الحجاج بن يوسف ، قال :

بينما الأمير جالس إذ استؤذن لليلى ، فقال الحجاج . ومن ليلى ؟ قيل . الأخيلية صاحبة توبة : قال . أدخلوها . فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية إلى الفوه ما هى (٦) حسنة الثغر ، فسلمت فرحب بها الحجاج ، فدنت ، فقال لها . وراءك ، ضع لها وسادة يا غلام . فجلست ، فقال : ما أعملك إلينا ؟ قالت : السلام على الأمير ، والقضاء لحقه ، والتعرض لمعروفه . قال : كيف خلفت قومك ؟ قالت : تركتهم فى حال خصب وأمن ودعة ، أما الخصب ففى الأموال والكلأ ، وأما الأمن فقد أمَّنهم الله

---

(١) تعنى بأبى الذبان عبد الملك .
(٢) فى الأغانى — عسفت برحلى — وتخذ تسرع .
(٣) فى الأغانى: وأولى باللئام .
(٤) فى الأغانى : لئام الملك حين تعد كعب .
(٥) تعنى كعب بن معاوية السابق فى نسبها ، وكعب الآخر هو كعب بن مالك الذى تنتمى إليه قريش .
(٦) فى كتاب — أشعار النساء — حسنة الثغر إلى الفوه ماهى ؟ أى ماهى إليه كقوله تعالى ( الحاقة ما الحاقة ) والفوه سعة الفم .

عزّ وجلّ بك ، وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أنشدك أيها الأمير ، قال : إذا شئت . فقالت :

أحجاجُ لا تُفْلَلْ سلاحُك إنما ال — منايا بكفّ الله حيثُ تراها
إذا هبط الحجاج أرضا مريضةً — تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها — غلام إذا هزّ القناةَ سقاها
سقاها دماء المارقين وعلّها — إذا جمحتْ يوما وخيف أذاها
إذا سمع الحجاج صوتَ كتيبة — أعدّ لها قبل النزول قِراها
أعدّ لها مصقولة فارسيةً — بأيدى رجال يحلبون صراها
أحجاجُ لا تعط العداةَ مناهمُ — ولا الله يعطى للعداةِ مناها
ولا كلّ حلاّفٍ تقلد بيعةً — فأعظمَ عهد الله ثم شراها[1]

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ : لله بلادها ما أشعرها ! فقال : مالى بشعرها علم . فقال : علىّ بعبيدة بن موهب . وكان حاجبه ، فجاءه فقال : أنشديه . فأنشدته ، فقال عبيدة : هذه الشاعرة الكريمة ، قد وجب حقها . قال : ما أغناها عن شفاعتك ! يا غلام ، مرْ لها بخمسمائة درهم ، واكسها خمسة أثواب أحدها كساء خز ، وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء بن خارجة فقل لها : صليها . فقالت : أصلح الله الأمير ، أضرّ بنا العريف فى الصدقة ، وقد جربت إبلنا وتكسّرت ، فأخذ خيار المال . قال : اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال ، وليحتل ليجعل أحدها نجيباء ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته . فقال ابن موهب : أصلح الله الأمير ، أأصلها ؟ قال : نعم فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتها هند بثلثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجاج بوصيفتين .

وأمر توبة مع ليلى الأخيلية مشهور ، وكان كلفا بها مغرما بحبها ، يقول فيها الأشعار ، وشعره من أعلى أقسام الشعر ، وبعضه أفحل من شعر مجنون

---

(١) شراها باعها ونقضها ، وقد سبقت الأبيات .

ليلى ، لأنه كان صحيح العقل فى كل أحواله ، ولم يزل كلفا بها حتى أتاه الموت.

وإنما ذكرنا خبر ليلى الأخيلية لأن غالب الناس يتوهم أنها هى ليلى المجنون ، وإنما ليلى المجنون العامرية من بنى عامر كما تقدم . وفيها قيل :

عليَّ لربع العامرية وقفة ليملى عليَّ الشوقُ والدمعُ كاتبُ
ومن عادتى حبُّ الديارِ لأهلها وللناسِ فيما يعشقون مذاهبُ

٢ ) أخبار قيس بن ذريح ولبنى

تنبيه : قد علم مما تقدم أن ليلى ثنتان : العامرية والأخيلية . وأن قيسا اثنان : المجنون ، وقد تقدمت أخباره ، وابن ذَريح ، ولم نعرف حاله ، وقد قال مؤلف كتاب — الحسن الجميل من أخبار القيسَين وجميل — وهو الجهنى الشافعى : قيس بن ذريح بن الحباب اللّيثى الشاعر المشهور صاحب لُبنَى بنت الحباب الكعبية ، وكان سبب تولعه بها أنه مرَّ يوما لبعض حاجته بخيام بنى كعب من خزاعة والحىُّ خلوف ، فوقف على خيمة للبنى فاستسقى ماء فسقته ، وكانت امرأة طويلة شهلاء ، حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت فى نفسه ، وشرب الماء ، فعرضت عليه النزول فنزل ، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه .

فانصرف قيس وفى قلبه منها حرٌّ لا يطفأ ، فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع ، ثم أتاها يوما آخر فسلّم فردت عليه وظهرت ، فشكا إليها ما يجده فبكت وشكت إليه مثل ذلك ، ثم انصرف إلى أبيه وسأله أن يزوجه إياها فقال — وكان كثير المال — عليك بإحدى بنات عمك ، وأراد ألاَّ يخرجَ ماله إلى غريب ، فانصرف قيس إلى أمه وقد ساءه ما خاطبه أبوه فشكا إليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب .

فأتى الحسين بن على عليهما السلام ، وكان رضيعه ، فشكا إليه ما به ، وكان حاضره عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق ، فرقَّا له ، ثم مضى الحسين إلى أبى لبنى ، فلما بصر به عظمّه ووثب إليه ، فقال له.

جئتك خاطبا ابنتك لقيس . فقال : ماكنا لنعصى أمرك ، ولكن أحب أن يخطبها أبوه ، فإنى أخاف أن يمتنع فيكون عارا علينا .

فأتى الحسين ذريحا ، وكان منزله ظاهر المدينة ، وقيل بِسَرِفَ ، فعظَّمه وقام له ، فقال له: أقسمت عليك إلا خطبت لبنى على قيس . فقال: السمع والطاعة .

وخرج معه حتى أتوا حىَّ لبنى ، فخطبها على ابنه قيس من أبيها ، فزوَّجها من قيس وزُفَّت إليه ، فأقام معها مدة فألهته عن أمه ، فتغيظت أمه فى نفسها ومرض قيس فقالت لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفا فيصير ماله كلالة، فزوِّجْه غيرها لعل الله يرزقه ولدا . فعرض أبوه عليه ذلك فأبى ، فقال له : تسَرَّ بالإماء . فقال : لا . قال : فطلقها . قال: الموت أسهل عندى من هذا .

فبلغ لبنى ذلك فقالت : لا تطع أباك فتهلك وتهلكنى . فيقال إنه مكث سنة ، وقيل عشر سنين ، وقد هجره أبواه ، ثم طلقها فاستطير عقله ، ولما ارتحل بها قومها وقف ينظر إليهم ويبكى حتى غابوا عن عينه ، فكرَّ راجعا ونظر إلى أثر خفّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبله ، ورجع يقبل موضع مجلسها وترابه ، فليم فى ذلك فقال :

وما أحببت أرضكمُ ولكنْ أقبِّل أثْرَ من وطىء الترابَا
لقد لاقيت من كلفى بلبنى بلاءً ما أسيغ له الشرابَا
إذا نادى منادٍ باسم لبنى عَيِيتُ فما أطيق له جوابَا

وبعثت أم قيس بفتيات من قومه إليه يعبن عنده لبنى ، ويعبنه لجزعه ، ويتعرضن لوصاله ، فأتينه واجتمعن عنده يعيرنه بما يفعله ويعبن لبنى ويمازحنه ، فلما أطلن عليه قال :

يقَرُّ بعينى قربُها ويزيدنى بها عجَباً من كان عندى يعيبُها[1]

(١) سبقت هذه الأبيات منسوبة إلى المجنون .

وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصيته ... وتلك لعمرى توبة لا أتوبُهَا
ويا نفس صبرا لستِ والله فاعلمى ... بأوّل نفس غاب عنها حبيبُهَا

ثم مرض قيس فأتى بطبيب ، فقال : ما عندك ؟ قال : الحب . فقال : إن مما يسليك أن تذكر مساويها وما تعافه النفس منها من أقذار بنى آدم . فقال :

إذا عبتها شبَّهتها البدرَ طالعاً ... وحسبُكَ من عيب لهانسبةُ البدرِ [1]
لقدفُضِّلتْ لبنى على الناس مثلمَا ... على ألف شهر فضِّلت ليلةُ القدرِ
لها كفل يرتج منها إذا مشتْ ... ومتن كغصن البان منهضم الخصرِ [2]

ثم إن أباه أمره بالمسير فى أحياء العرب حتى وقعت عينه على لبنى الفزارية ، فزوجه أبوه بها ، فلم يهش إليها وهام بذكر لبنى الكعبية ، فبلغ ذلك أباها فشكاه إلى معاوية ، فكتب إلى مروان بن الحكم بهدر دمه إن تعرّض لها ، وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حِلِّزة ، فجزع قيس جزعا شديدا ، وحجّ واتفق أن لبنى حجت فى تلك السنة ، فرآها فدهش وبقى واقفا مكانه ، ومضت لسبيلها، ثم أرسلت إليه بالسلام وهو واقف مكانه ينشد ويبكى .

ثم لما عاد مرض ، وشهر أمر قيس بالمدينة ، وغُنِّىَ شعره ، ثم توصل إلى معاوية فدخل على يزيد ابنه وشكا ما به إليه وامتدحه فرقّ له ، وقال : سل ماشئت ، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت قال : لا أريد ذلك ، ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد ، فأعرف أخبارها من غير أن يهدر دمى . قال : لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لمَا وجب أن نمنعه ، فأقم حيث شئت . وأخذ كتاب أبيه إليه بأن يقيم حيث أحبّ ، لا يعترض عليه أحد ، وأزال ماكان كتب من إهدار دمه ، فقدم إلى بلده .

---

(١) سبق هذا البيت منسوبا للمجنون .

(٢) منهضم الخصر رقيقه .

وقد اختلف فى آخر أمر قيس ولبنى . فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما، ثم منهم من قال إنه مات قبلها ، وبلغها ذلك فماتت أسفا عليه، ومنهم من قال إنها ماتت قبله ، وأنه خرج ومعه جماعة من أهله ، فوقف على قبرها وقال :

ماتتْ لُبَيْنَى فموتُها موتى     هل تنفعنْ حسرةٌ على الفوتِ
فسوف أبكى بكاءَ مكتئبٍ     قضىَّ حياةً وجدًا على مَيْتِ

ثم إنه أكبَّ على القبر يبكى حتى أغمى عليه ، فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلا ولا يجيب مكلّما ثلاثا . ثم مات سنة ثمان وستين من الهجرة . ودفن إلى جانبها — انتهى ملخّصا .

غريبة : أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمرى . عن أبى الوفاء إبراهيم ابن محمد بن خليل . أنا أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة . أنا الفخر بن البخارى السعدى . أنا أبو حفص بن طبرزد . أنا أبو محمد بن الطراح . عن أبى القاسم بن البشرى، أنا أبو عبد الله بن بطة . أنا محمد بن الأنبارى . ثنا أحمد بن أبى سفيان الجوهرى ، ثنا أبو العباس الضرير المعروف بأبى العيناء . ثنا الأصمعى قال :

كنت أسمع بعمارة الكسلان بالبادية ، وكنت أحب أن أراه ، فمررت ذات يوم برجل نائم تحت شجرة ملتف بكساء ، فسكت عنه حتى جزته ، فلقيت امرأة فقالت لى : لقيت ابنى ؟ فقلت : ومن ابنك ؟ قالت : عمارة الكسلان . قلت: لا أعرفه ، وإنى لمشتاق إلى رؤيته ، وقد مررت برجل ملتف تحت شجرة . قالت : هو ابنى . فانطلقتْ واتبعتها فجاءته . فلما وقفت عليه نادته ثلاثا : عمارة . فلم يجبها . فأقسمت عليه بحق ليلى إلا كلمتنى، فقال بضجر : وماحاجتك ؟ فقالت: أنت نائم منذ ثلاث لا تطعم ولا تشرب، كم هذا الكسل والنوم ؟ قد صنعت لك طعاما ، قم فكل منه . فأبى فقالت: فمعى شىء من سويق أصبه فى حلقك ،

قال : فأوْ جِرى⁽¹⁾ فلما صار فى فمه قال لها : مضّـغينى . فجعلت تمسك فـكه وتمضغه ، وتصب فى حلقه من بعد ذلك الماء. فلما فرغت تغطّى ونام.

فدنوت إليه فناديته فلم يجبنى ، فأقسمت عليه بحق ليلى فأجابنى وقال : سَلْ وأوجز . قلت : من ليلى هذه منك ؟ قال : خلّة لى . قلت : هل لك فيها شىء؟ قال : نعم . قلت:فأنشدنى . قال : فاكتب وأوجز . فأنشأ يقول:

سألتُ الريح أن يأتى بليـلى    وربُّ الريح يفعـل ما يشاءُ
فتحملَـها فتطرحهـا بأرضٍ    وتنحسَـهـا وينكشفَ الغطـاءُ
ويحملَنى فيطرحنى عليهـا    وتنبهها وقد قُـضِـىَ القضاءُ
وترسل دَرَّةً سحًّا علينا    فتغسلنا ومانبغى عنـاءُ [2]
وذلك فى الربيع ويوم حَرٍّ    وصيفٍ حتىْ ينقضىَ الشتاءُ

تنبيه : تقدم ذكر ليلى العامرية . ثم ليلى الأخيلية . ولهم ليلى ابنة الجودى : أخبرنا الشمس محمد بن أحمد العمرى ، عن أم محمد عائشة ابنة محمد المحتسب ، عن أم عبد الله زينب بنت أحمد بن الـكمال ، قالت : أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى السّـبط ، أنا جدى أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى ، أنا أبو الخطاب نصر بن أحمد بن البطريق ، أنا أبو محمد عبد الله بن ألـيَسـَع ، أنا أبو عبدالله الحائلى ، ثنا الحسين بن عبدالله بن شعيب. حدثنى يحيى بن إبراهيم ، حدثنى إسحاق بن جعفر بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن عبد الرحمن بن أبى بكر مرّ بدمشق فى أول الإسلام أو فى آخر الجاهلية ، فمرت عليه امرأة لم ير أجمل منها ، فعثرت أو تعاثرت . فقالتْ : يا ليلى . قال : ومن ليلى ؟ قالت : ابنة الجودى . قال : وليلى أحسن منك ؟ قالت : عجوز معها . فتحب أن أريكها ؟ قال : نعم . ونظر إليها وقال شعرا :

---

(١) فأوجرى أدخليه فى فمى .
(٢) درة سحابه ممطرة ، سحا صبا .

تذكرتُ ليلى والسَّماوةُ دونها ... وما لابنة الجوديّ ليلى وماليا[1]
وأنَّى تعاطَى قلبُهُ حارثيَّةً ... تُدَمِّنُ بُصْرَى أوتحلُّ الجوابيا[2]
وأنَّى تلاقيها بَلَى ولعلَّها ... إن الناس حجُّوا قابلاً أن تُوافيا[3]

قال : فقال عمر بن الخطاب — وكتب إلى عامل دمشق — إن فتح الله عليكم دمشق فأسلموها إليه . فقدم بها وآثرها على نسائه فشكونه إلى عائشة فلامته فيها وقالت : أجارية جئت بها تؤثرها على نسائك ؟ فقال : إنى والله لكأنى أرشف بأنيابها حبَّ الرُّمَّان . قال : فعمل بها شىء حتى سقطت أنيابها سنًّا سنًّا . قال : فتركها عبد الرحمن. قالت عائشة : فكنت أعاتبه لها كما كنت أعاتبه فيها . فقال : ليس عندى شىء . قلت : امرأة شريفة خلِّ سبيلها . فخلى سبيلها وردها إلى أهلها ؟

تم والحمد لله نسخ هذا الكتاب بخطى فى ٦من رمضان سنة ١٣٨٣ هـ ٢١ من يناير سنة ١٩٦٤ .وتم طبعه فى شهرى ربيع الآخر وأغسطس من السنتين

عبد المتعال الصعيدى

---

(١) السماوة موضع بين الكوفة والشام .
(٢) تدمن تلازم وفى رواية — تحل ببصرى — ، وبصرى بلد بالشام ، والجوابى جمع الجابية بلدة بدمشق، وباب الجابية من أبوبها ولهذا جمعها .
(٣) وأنى كيف ، والاستفهام للاستبعاد .

## ١ — فهرس مطالع أشعار مجنون ليلى

| | | |
|---|---|---|
| ٤٣ | أأترك ليلى ليس بينى وبينها | سوى ليلة إنى إذن لصبور |
| ٤٤ | أمر على الديار ديار ليلى | أقبل ذا الجدار وذا الجدارا |
| ٤٥ | وما بى إلا حب ليلى كفاية | جنونا وإنى فى الهوى لأسير |
| ٦٠ | دعوت إلهى دعوة ما جهلتها | وربى بما تخفى النفوس بصير |
| ٦١ | ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعى | بليل ولا يجرى بها لك طائر |
| ٦٢ | ألا يا غراب البين لونك شاحب | وأنت بلوعات الفراق جدير |
| ٦٤ | تداويت من ليلى بليلى من الهوى | كما يتداوى شارب الخمر بالخمر |
| ٨٣ | ولو عبد أتى من آل ليلى | ليركبنى لصرت له حمارا |
| ٨٥ | بالله يا ظبيات القاع قلن لنا | ليلاى منكن أم ليلى من البشر |
| ٨٩ | ألا من لنفس حب ليلى شعارها | مشاركها بعد الصديق اعتمارها |
| ٩٦ | فما رحمت يوم التفرق مهجتى | وقد كاد يبكى رحمة لى بعيرها |
| ١٠٠ | فيارب إن أهلك ولم تروها متى | بليلى أمت لا قبر أعطش من قبرى |
| ١٠٠ | يا كلب ليلى بسقط الحى قد درست | |
| | إلا الثمام وإلا موقد النار | |
| ١٠١ | ومما شجانى أنها يوم ودعت | تولت وماء العين فى الجفن حائر |
| ١٠١ | هل الوجد إلا أن قلبى لو دنا | من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر |
| ١٠١ | جننت بليلى والجنون يسير | على حبها عقلى الجنون يطير |
| ١٠٢ | أذل لآل ليلى فى هواها | وأحتمل الأكابر والصغارا |
| ١٠٣ | ألا يا حمام الأيك أجريت أدمعى | وقد ساح فوق الوجنتين غزيرها |
| ١٠٣ | لعمرى للبيت الذى لا أزوره | أحب وأوفى من بيوت أزورها |
| ١٠٥ | لكل لقاء نلتقيه بشاشة | وإن كان حولا كل يوم أزورها |

السين

| | | |
|---|---|---|
| ٨٣ | وجاءوا إليه بالتعاويذ والرقى | وصبوا عليه الماء من ألم النكس |

الطاء

| | | |
|---|---|---|
| ٤٩ | نعب الغراب ببين ليلى غدوة | إن الكتاب ببينهم مخطوطا |

العين



القاف



اللام

الميم

## ٢ — فهرس مطالع أشعار ليلى الأخيلية

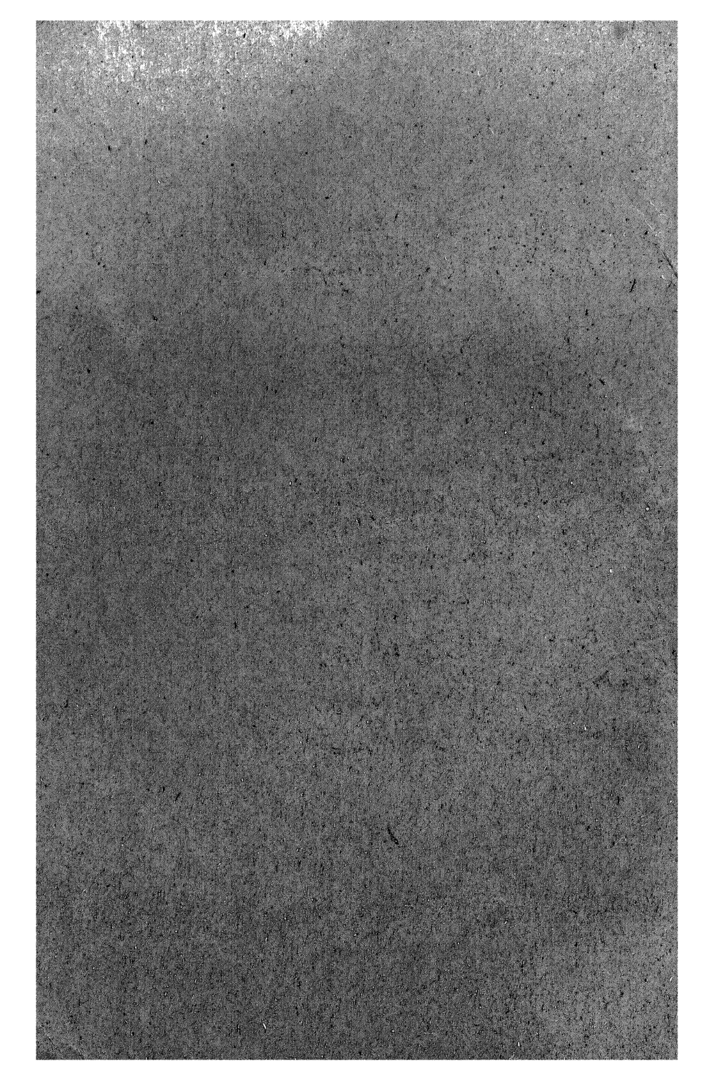
البــاء

## ٣ — فهرس مطالع أشعار توبة

## ٤ — فهرس مطالع أشعار قيس بن ذريح



## ٥ — فهرس الموضوعات



# مكتبة القاهرة

## لصاحبها علي يوسف سليمان

بشارع الصنادقية - ميدان الأزهر بمصر

يوجد بها جميع أصناف الكتب، من مصاحف ودلائل، وتفاسير، وأحاديث، وفقه وتوحيد، وكتب أدبية، وقصصية، ونحو ... الخ

وبها محل لتجليد الكتب الأفرنجية

وتطبع سنويا نتائج الحائط والجيب والمفكرات

أسعارها مخفضة. موا[illegible] ها مضبو